

نقد الخطاب الاستشراقي حول الإسلام

ضرورته- أهميته-مجالاته- أثره

د. السيد عبد القادر المتولى البلتاجي
المدرس بقسم الأديان والمذاهب
كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة
جامعة الأزهر الشريف
Email: alsayedalbeltagy.١٣@azhar.edu.eg

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

ملخص فكرة البحث

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلاما على نور الورى وصراطه المستقيم، ورحمة الله للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد..

فالخطاب الاستشراقي عن الإسلام هو جل ما أنتجته أقلام المستشرقين عن الإسلام والمسلمين وبلاد الإسلام في القديم والحديث، وليس بغائب ذلك الكم الهائل من الدراسات الاستشراقية التي تناولت الإسلام وقضاياه والمسلمين وتاريخهم، وحضارتهم...الخ.

ومن خلال تلك الأبحاث تشكلت عقليات الغربيين قادة وعلماء وشعوبا، وبناء عليها تحددت سياسات دول تجاه دول، وأقيمت علاقات، وأنشئت مؤسسات وغير ذلك مما لا حصر له من آثار.

وقد أصبح من الضروري تبنى الموقف النقدي الشامل للموروث الاستشراقي بشكل علني وواضح ومنظم، لأن ما كان خافيا من أمر الاستشراق قديما أصبح اليوم مكشوفا وبينا؛ فحيث كان الكلام سابقا –على استحياء– عن الاستشراق كعلم له فوائده ومحامده، أمسى الحديث اليوم عن الاستشراق كآلية ووسيلة غربية للتسلط والسيطرة على العالم، لكن هذه الآلية أظهرت نفسها في ثوب العلم والمنهجية والبحث والدرس، وتركت خلفها آثارا خطيرة على الأمة.

ودفع هذا الخطر المئات بل الآلاف من الباحثين للتفرغ للرد على شبهاته وأضاليله التي أثيرت وما زالت تتجدد كل يوم.

Criticism of the Orientalist discourse on Islam

necessity. Importance. Domains. Impact

Dr.Alsayed Abdel kader Al-Metwally Al-Beltagy

Teacher, Department of Religion and Religion
Islamic Dawa Faculty in Cairo
Al-Azhar University

Email: alsayedalbeltagy.١٣@azhar.edu.eg

Search idea summary

Thank God the Lord of the Worlds, and pray and peace on the light of the Wars and his righteous linings, and God's mercy for the worlds, and on his God and his companions all. After.

The orialist discourse on Islam is the most important thing that the orientalist pens have produced about Islam, Muslims and the country of Islam in the old and the new, Not without that much of the writings of the orientaries, The people who dealt with Islam, its issues and Muslims, .their history, their civilization, etc....

The Western minds were formed through these research: Leaders, scientists and people, and consequently, they determined countries' policies toward countries, established relations, established institutions and other countless effects

The monetary position of the Orientalist legacy has become necessary in a clear and public manner, because what was previously hidden from Orientalism is now open and clear

As the talk was previously - on the resentment - about the benefits and the benefits of Orientalism, I am talking today about the dangers of Orientalism and its dangers to the nation

Its serious effects have been shown, and hundreds or even thousands of researchers have been pushed to the attention of those suspicions that have been raised and are still being renewed every day

مقدمة

"نقد الخطاب الاستشراقي حول الإسلام"، ليس المقصود منه نقد المستشرقين وخطابهم فقط –كما قد يظن– لأن المستشرق جزء من منظومة كبيرة هو لسانها الناطق وكلمتها المسطورة، فمسارات النقد ومجالاته متنوعة ومتعددة، لابد من ارتيادها والحديث من خلالها، بداية من المفهوم والنشأة، وانتهاء بالآثار، كما يجب أن يلتفت إلى طريقة صياغة النقد داخل هذه المجالات، والتي يجب أن تتسم بالوعي والحيطة نظرا لأثرها في تكوين رؤية سلبية أو إيجابية حول خطاب المستشرقين عن الإسلام، وقبل هذا وذاك يجب التنبيه عن المشروعية الفكرية للنقد وأهميته، فهو بمثابة المُنطلق للحديث، والأساس الذى سيبنى عليه، وفي الختام يحسن إلقاء الضوء على مثال نقدي يحقق ولو جزءا من هذه المنهجية النقدية.

وتقوم فكرة البحث على عدة محاور:

أولا: محور خاص ببيان المشروعية الفكرية لنقد الخطاب الاستشراقي، وبيان ضرورته، والحاجة إليه، وتوضيح مبررات وحجج هذه المشروعية.

ثانيا: بيان أهمية هذا النقد، وفائدته في مجال الحياة الفكرية والعملية والاجتماعية للمسلمين.

ثالثا: بيان مجالات هذا النقد، فهي تشمل نقد المفهوم، ونقد النشأة، ونقد الوسائل، ونقد التحليل والشرح، ونقد العقلية، ونقد الأهداف، ونقد المصادر، ونقد الآثار والنتائج، بحيث يكون النقد شاملا لعالم الاستشراق كله.

رابعا: بيان بعض الوسائل المساعدة لعملية النقد، من العمل المؤسسي، والموسوعي، والدعم السياسي، والمؤتمرات وغيرها، وركزت على أهم الوسائل فقط.

خامسا: بيان أثر هذا النقد على العالم الإسلامي، من الوضوح، وكشف الزيف، وحماية الأمة، والتعرف الحقيقي على هويتها، والسلام الاجتماعي، والتقدم الحقيقي. وكذا بيان أثره على العالم الغربي والعالم أجمع، من حدوث مراجعات عالمية للفكر الاستشراقي الذي حكم الثقافة والفكر العالميين، وتوجيهه صوب مبادئ الإسلام وحضارته الحقيقية، مما يترب عليه استقرار وسلام للعالم أجمع.

سادسا: ختمت بعرض نموذج جيد لكيفية نقد الاستشراق، وقد اخترت نموذجا يمثل الأزهر الشريف في أعلى تمثيل، من ناحية الكتاب وصاحبه والمؤسسة التي صدر عنها.

عرضت كل هذا بصورة مختصرة ما استطعت ذلك، ورجعت إلى مصادر متنوعة، منها القديم والحديث في مجال علم الاستشراق، وحاولت مجتهدا أن يكون العرض حيا، ومصورا، وموضحا، وأسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت في تقديم شيء نافع يصلح أن يضاف إلى مكتبة فن نقد الاستشراق، والحمد لله رب العالمين.

تمهيد

بيان معنى نقد الخطاب الاستشراقي

"**النقد** "«من نقد الشيء نقدا: نقره ليختبره، أو ليميز جيده من رديئه، والنقْدُ والتَّنْقادُ تمييزُ الدراهِم وإِخراجُ الزَّيْفِ منها، وانتقد الشِّعر على قائله: أظهر عيبه، ونَقَدَ الطائرُ الحَبَّ يَنْقُدُه، إِذا كَانَ يَلْقُطُه وَاحِدًا وَاحِدًا، والناقد الفنى: كاتب عمله تمييز العمل الفنى جيده من رديئه، وصحيحه من زيفه، وناقدْتُ فلاناً إِذا ناقشته في الأَمر، وناقده : ناقشه في الأمر»[1]

فالنقد اختبار وفرز، ثم اختيار وحكم، وهو يحمل في طياته العرض، إلا أنه أسرع إلى الفصل والقضاء، ويتطلب قدرا أكبر من العلم والوقت والجهد، إذ فيه مقابلات ومعارضات وتحليلات ومناهج.

والخطاب الاستشراقي: هو جل ما أنتجته أقلام المستشرقين عن الإسلام والمسلمين وبلاد الإسلام في القديم والحديث، وكل ما نتج عن هذه الأقلام، فكرا وسلوكا.

ونقد الخطاب الاستشراقي حول الإسلام هو نقد كل ما يتعلق بالاستشراق من حيث المفهوم، والنشأة، والأهداف، والوسائل، والمجالات، والأثار المترتب عليه، فالخطاب الاستشراقي لم يصبح كذلك إلا بجهود أطراف كثيرة سعت لإنجاحه والاستفادة منه، ومن ثم فالنقد يكون موجها إلى كل هذه الأطراف مجتمعة ومنفردة.

(١) انظر: العين (٥ / ١١٨)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٢ / ٥٤٤)، لسان العرب(٣/ ٤٢٥) تاج العروس (٩ / ٢٣٠)، المعجم الوسيط: ص٩٧٤

المبحث الأول

ضرورة نقد الخطاب الاستشراقي حول الإسلام

النـقـد أم النـقـض

المسلمون في حاجة إلى نقض [١] الخطاب الاستشراقي وليس إلى نقده فقط؛ فالنقد بأساليبه ومناهجه العلمية –في الحقيقة–لا يكافئ كم التضليل والضرر الذي أحدثه الاستشراق في الحياة الفكرية الإسلامية والعالمية، لكن في العمل الأكاديمي لا مفر من استخدام النقد، لأن هذا هو ما تقبله العقول المحايدة، وما قد تقبله العقول المعادية، رغم أن النقض كان السلاح الفكري الأهم لدى المستشرقين، وقد ألبسوه ثوب النقد، ولقي هذا النقض –فاعجب– قبولا منقطع النظير في الأوساط الغربية، وفي بعض بلداننا الإسلامية، وإذا كان المجتمع الغربي معذورا في تقبل النقض الفج لتراث الآخر بسبب موروث الكراهية والتعصب القديم منذ الحروب الصليبية وما قبلها وما بعدها، فما هو عذر العقول في البلاد المستعمرة، أو التي كانت مستعمرة!!

لكن وقبل كل شيء يحسن طرح قضية المشروعية الفكرية لنقد الخطاب الاستشراقي للنقاش لأن هناك جمعا يرفض عملية النقد ناهيك عن النقض.

العـدالة والإنـصاف، والـظـلـم والإجـحـاف

بداية لا شك في وجود بعض المنصفين من المستشرقين بجوار كم رهيب من المستشرقين المجحفين والمحرفين، فهذا مالا يمكن إنكاره أو إخفاؤه، لكن؛ هل

---

(١) النقض هو: هو بيان تخلف الحكم المدعى ثبوته أو نفيه، وهو إِفْسادُ مَا أَبْرَمْتَ مِنْ عَقْدٍ أَو بِناء أو حبل، والنُقاضَةُ: ما نُقِضَ من حبَل الشَعر، وانتقضَ الْأَمر بعد التِئامِه، والانتِقاضُ: أن يعود الجرح بعد البرء، وكذلك انتِقاضُ الأمور والثغور ونحوها، والمناقضة فِي القَوْل: أَن يتَكَلَّم بِمَا يتناقض مَعْنَاهُ، والنقض مثل الهدم، ويقع على كل البناء، والمَنْقوضُ، أَي المَهْدومُ. انظر: التعريفات للجرجاني(١ / ٢٤٥)، العين (٥ / ٥٠، ٥١)، جمهرة اللغة (١ / ٣٢٩)، تهذيب اللغة (٨ / ٢٦٩)، لسان العرب (٧ / ٢٤٢)، الكليات (١ / ٩١٠، ٩٦٣)، تاج العروس (١٩ / ٨٩)

هذا هو ما يشـغلنا في عالم الاسـتشـراق؟ هل هذه هي القضـية الكبرى؟ هل بمعرفة المنصـفين والمجحفين يزول خطر الاسـتشـراق؟ هل لو ثبت لنا أن ٩٥% من المسـتشـرقين منصـفين و٥% فقط من المجحفين يحل إشـكالية الاستشراق؟

الحقيقة أن قضـيتنا الكبرى في آثار الاسـتشـراق دينيا وفكريا وثقافيا وعقليا وسياسيا واجتماعيا، هل هذه الآثار إيجابية أم سلبية على الأمة وفكرها ودينها وأخلاقها واقتصادها....الخ؟ فإذا أثبت لنا الواقع والتاريخ أن أضرار الاستشراق على الأمة لا حد لإحصائها وضـررها، عندئذ يصـبح الحديث عن المنصـفين وغير المنصـفين من الأمور الثانوية الفرعية التي يجب ألا نقف عندها طويلا، بل نعرج عليها عرضـا ونحن نضـع خطة مواجهة أفكار وشـبهات وأكاذيب المستشرقين، فنذكرها في إطار كيف نوظف كتابات المنصفين– بعد التأكد من إنصافهم– في مواجهة أخطار الخطاب الاستشراقي.

بعد هذه التقدمة ننتقل إلى مناقشة قضية الإنصاف والإجحاف.

يتميز علماء ودعاة الإسلام بالعدالة والإنصاف–أو هكذا ينبغي– ويدفعهم ذلك إلى ذكر محاسن الاستشراق قبل ذكر سيئاته، مدللين على هذا بأمرين: الأول: شـهادات بعض المستشرقين المقبولة حول الإسـلام، الثاني: تراث المستشـرقين الضخم، ونتاجهم الواسع في مجال الدراسات الإسلامية بكل فروعها.

والواقع أنه ما من كاتب شرقي –في الغالب الأعم– مدح الاستشراق والمستشرقين إلا وذمهم، وما من كاتب أثنى إلا وقدح، ودوما حديثه عن الجانب السـلبي يفوق حديثه عن الجانب الإيجابي في العمل الاستشراقي.

والعدالة والإنصاف يقتضيان دراسة الأمر من جوانبه كلها، وجمع كل ما يتعلق بالاستشـراق في السـاحة الفكرية والسـاحة العملية الميدانية، بداية من الأهداف

والأسباب، ونهاية بالأثر والنتائج، ثم يتم وضع كل هذه الحصيلة في ميزان النقد، ليتبين بصدق؛ هل يستحق الاستشراق شيئا من الثناء؟

وإذا كان الحكم عاما؛ فالميزان يتطلب وضع الاستشراق والمستشرقين في كفة ووضع مبادئ العدالة والإنصاف في كفة، وننظر أي الكفتين ستطيش؛ كفة العدالة والإنصاف، أو كفة الاستشراق والمستشرقين؟

وإذا كان الحكم فرديا؛ فالميزان يقتضي وضع كل نتاج المستشرق وكلامه عن الإسلام وغيره من الأديان في كفة، ثم توضع مبادئ العدالة والإنصاف في الكفة الأخرى وننظر هل ثقل ميزان عدالته وإنصافه؟

وبدون هذا الميزان الشامل في الحكم العام، والحكم الفردي، فلا مكان لعدالة أو إنصاف، وسنصبح كالعميان الذين وضعوا أياديهم على جسد فيل، وكل واحد منهم أخذ يقسم أن ما وقعت عليه يديه هو الفيل!

ويمكن أن يُعذر من صنف أحد المستشرقين أنه من المنصفين بناء على شهادته للإسلام والمسلمين ورده على بعض المستشرقين المتعصبين، لكن إذا لم يستقرئ نتاج المستشرق كله، وعلاقاته وأثره، فهذا الحكم يحتاج لا شك إلى مراجعة، فقد يؤتى الإنسان من مأمنه.

أما من أثنى على الاستشراق والمستشرقين مستدلا بما بذلوه من جهد وتعب في التصنيف والتحقيق والفهرسة وإحياء مخطوطات وإنشاء مكتبات، وكراسي متخصصة...إلخ، فهذا الجانب لا يمكن استخدامه لوصف مستشرق بالإنصاف، أو لوصف الاستشراق بالعمل الرائع الجيد المفيد للأمة الإسلامية؛ لأن ثمرة هذه الجهود كلها صبت في خدمة الغرب، ونالت من الشرق عن طريق الاستعمار ونهب الثروات، وإضعاف الأمة، وتشويه الفكر وإثارة الشبهات والنعرات والعصبيات، ووضع بذور التخلف والرجعية، وتزيف التاريخ

بل والواقع أيضـــا، ومن ثم فهذا القياس لا يصـــلح في هذا الباب، بل على العكس تماما.

كمن يمتدح رجلا لأنه يحسـن في تناول الطعام، وممارس الرياضـة بأنواعها، ويأخذ بأسـباب الصـحة، ويركب أفضـل مركب، ويعيش في أجمل القصـور، بينما هذا الرجل القوى المتحضر يخرج كل يوم فيضرب هذا المسكين أو يسرقه أو يسرق أحد أبنائه أو يهينه، أو يستولى على ما يخصه، أو يرميه بالأكاذيب والبهتان، وكذا يفعل في جيرانه وأصحابه.

فهل وُظفت أسـباب قوة هذا الرجل لصـالح هذا المسـكين، أم وُظفت كلها لتضـييع حقوقه والاسـتلاء عليها؟ فبأي منطق يمتدح هذا ذاك؟! إلا بمنطق الخوف أو التلذذ بالعبودية، أو معاقبة النفس، أو الجنون!

فإذا جاء من يقف في وجه هذا المتكبر المتغطرس الظالم، قام هذا المسـكين وقال له، لا، لا تفعل، إن في قصـر هذا الطاغية خادم يحبني ويعطف علي أحيانا ويشعر بالظلم الذي أنا فيه، فإذا قلت له وما أثر هذا الخادم وأمثاله بين آلاف المرجفين الآخرين ؟ هل رفع عنك الظلم، وأعاد الحق؟ أم بقيت حقوقك مسلوبة وثرواتك منهوبة، وسيرتك السيئة تلوكها كل ألسنة العالم؟ حتى تحول العالم كله ضدك، يقتسم مالك وينتهك عرضك، فيقول لك: لا تكن ظالما!!!

نقل "د. النملة" كلاما مطولا لمجموعة من كبار العلماء والكتاب، يرون أن نتاج الاستشراق كان في خدمة رعاة الاستشراق من الغرب، ولم يستفد منه المسلمون فتيلا، حتى لو بدى منه فائدة فهذه الفائدة في ذاتها ستكون سببا في استذلال فكر الأمة وربطه بغيره، وجره إلى ما فيه مهلكته، نقل هذا الرأي عن "محمود شـاكر، في كتابه رسـالة في الطريق إلى ثقافتنا، وعبد اللطيف الطيباوي، في كتابه: المسـتشـرقون الناطقون بالإنجليزية، ومالك بن نبي، في كتابه إنتاج المسـتشـرقين وأثره في الفكر الإسـلامي الحديث. والميداني في كتابه: أجنحة

المكر الثلاثة، وأنور الجندي، في كتابه: سموم الاستشراق في العلوم الإسلامية، وغيرهم.. [١]

ويكفي مثالا على هذه الجهود الجبارة التي بذللها المستشرقون لإخراج موسوعة علمية ضخمة، تكون موردا لمن يرغب في التعرف على الإسلام والمسلمين، وهي موسوعة: "دائرة المعارف الإسلامية" فهل استفاد المسلمون منها شيئا؟ بالطبع لا، فهي أخطر الأعمال وأكثرها تضليلا «ومصدر الخطورة في هذا العمل أن المستشرقين عبئوا كل قواهم وأقلامهم لإصدار هذه الدائرة، وهي مرجع لكثير من المسلمين في دراساتهم، على ما فيها من خلط وتحريف وتعصب سافر ضد الإسلام والمسلمين»[٢] وقد صدرت بالألمانية والفرنسية والإنجليزية، في أربع مجلدات ضخمة، ثم بدا لهم تخصيص مجلد منها عن الإسلام، دينا وتاريخا وحضارة وأدبا وعلوما وسياسة...الخ، وفيه من الأكاذيب والتلفيق والتحريف ما فيه، وعداوة الإسلام بارزة جدا، ودوما تجد ضيق صدر الكاتبين بالإسلام وقضاياه[٣]، وقد دفع هذا الأقسام العلمية المتخصصة في كليات جامعة الأزهر لتناول هذه الموسوعة بالنقد والتحليل وردِ كل ما ورد فيها من أكاذيب وشبهات [٤]، فكيف بعدئذ يمكن أن تكون هذه الجهود الاستشراقية تبريرا لأى تمجيد أو ثناء!!

---

(١) راجع: مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم، علي بن إبراهيم الحمد النملة، ص٤٧- ٥٤، بيسان، ط٢، ٢٠١١م

(٢) الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي، ص٥٢٦، مكتبة وهبة، ط٤، ١٩٦٩.

(٣) انظر: دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية أضاليل وأباطيل، د. إبراهيم عوض، ص٥، مكتبة البلد الأمين، ط١، ١٩٩٨م.

(٤) راجع على سبيل المثال: قائمة الرسائل العلمية في قسم الأديان والمذاهب في كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، فقد أحصيت أكثر من سبع رسائل للرد على شبهات المستشرقين حول قضايا الإسلام من

الملاحظة الأخيرة وهي: أن بعض هذا الثناء على المستشرقين يأتي أحيانا على لسان مستشرقين آخرين، ثم يقوم الكاتب المسلم بنقل هذا ويستخدمه كشهادة على إنصاف المستشرقين وجودة أعمالهم، وهذه الشهادة مجروحة، خاصة إذا جاءت من مستشرق قد صنف كمستشرق متحامل أو غير منصف.

تساؤلات حول قضية الإنصاف والإجحاف والحكم على الاستشراق

كما سبق- تُعد قضية الإنصاف هي الهاجس الأكبر الذي يدفع علماء المسلمين إلى تصنيف المستشرقين أو الاستشراق إلى قسمين، قسم منصف وقسم مجحف، ولذا ينبغي إزالة كل شبهة قد تدفع الكاتب إلى الظلم وهو يريد العدل، وتدفعه إلى الإجحاف وهو يريد الإنصاف، أو ربما ينصف واحدا فيظلم ألفا.

التساؤل الأول:

المثال الأول: هل من العدل والإنصاف أن أمتدح طعاما معظمه فاسد، بحجة أن بعض أطباقه صالحة أو بعض بعض أطباقه صالحة؟ لقد عرفنا فساد هذا الطعام من أثره على الآكلين، فمن جلس على مائدة الاستشراق، وجعلها مأدبته، واقتنع بما فيها، وملأ عقله، أصيب بسمومها، وذلك على قدر ما أخذ وتغذى.

نعم قد تقع أيدي بعض الجالسين على الأجزاء السليمة فقط، ومن ثم سيخرج مادحا الطعام ومن صنعه، وهو غير عابئ بمن هلكوا ممن كانوا حوله، بل قد يتهمهم بالإجحاف وعدم الإنصاف إن قالوا إنه طعام فاسد، لقد كان في نظره طعاما جيدا ومأدبة رائعة!

خلال دائرة المعارف الإسلامية، فكيف بباقي الأقسام في كليات جامعة الأزهر الشريف، وغيرها من الجامعات؟

العقل يقول في باب الطعام وباب الفكر أنه يجب تجنب ما فيه أذى محقق حتى لو كان بداخله نفع محقق، فحيث لا يمكن الاحتراز –بشـــهادة الواقع والأثر– فلا أقل من تجنبه.

قد يعترض عالم متمكن فيقول: يمكن الاحتراز والتمييز بين الصالح والفاسد، ومن ثم الاستفادة من الصالح وترك الفاسد أو مواجهته.

لكن الجهد الذي ســيبذل لمعرفة الصـــالح من الفاســـد أثمن بكثير من هذا الموروث الصـالح، ناهيك عن اسـتغلال الفاسـدين لهذا الجانب الجيد ليجعلوا منه دليلا على صلاح الكم الكبير من الفساد.

هذا في المجتمع الأكاديمي البحثي المتخصـص، الذي يسـتطيع أن يميز بين الخبيث والطيب–أو هذا ما ينبغي– فكيف الحال بمجتمع لا علاقة له بالبحث ودقته ونقده؟ فإذا أثنى أحدهم على بعض أعمال الاســتشــراق فقد أثنى على الاستشراق كله، وإذا مدح مستشرقا فقد مدح المستشرقين جميعا، من هنا تكون المصيبة الكبرى على الفكر والحياة الثقافية بشكل عام.

المثال الثاني: فالاسـتشـراق أشـبه بثوب معظمه ممزق ومعيب ومشـوه وقليله سليم ونظيف أو يبدو نظيفا، تُرى؛ من يُقبل على شراء هذا الثوب وارتدائه؟

قد ينجح التاجر في عرض الثوب بطريقة لا يُرى فيها غير الجانب الســـليم، لكن عند الشراء لا يُعقل ألا ينظر المشترى إلى الثوب كله، ليحكم عليه، ومن ثم يشـــترى أولا، فإن وجده معيبا تركه، لكن العجيب والغريب والمذهل في آن؛ ما لو رأى المشترى هذه العيوب ثم ادعى أن الثوب جيد نظرا لوجود هذا الجزء الصـالح فيه !!! ثم قام يدعو الناس إلى شـراء بضـاعة هذا التاجر، بحجة أن كل ثياب في دكانه يمكنك أن تجد فيها جزءا حسنا!! ترى، من العقلاء سيستمع إلى هذا المنادي؟

المثال الثالث: الإنســـان يتجه لشـــراء الطعام أو لشـــراء الثياب لأنه لا يملك طعاما أو ليس لديه ثياب، أو ربما لديه لكنه لا يصــلح بسـبب ما أصــابه من فساد، أو يريد المزيد من هذه البضاعة الرائعة ليقوم بتخزينها إلى وقت الحاجة، فيشتري طعاما صالحا، وثوبا جديدا قشيبا.

فكيف إذا كان ما لديه كاف ويزيد من الطعام والثياب، وليس فيه ما يشوب ولا ما يضر، بل لديه في خزينته من أفخر الثياب وأطايب الطعام، وكيف إذا كان طعام السوق وثيابه معطوبا وفاسدا؟؟ فهل يعقل أن يترك ما عنده لأجل هذا؟!!

التسـاؤل الثـانـي :

ماذا أضــاف الجانب الجيد من الاســتشــراق والمســتشــرقين إلى الحياة الفكرية الإسلامية حتى نحتفي به هذا الاحتفاء؟

هل كان له الفضـــل في بناء مناهج بحثية جديدة تبنتها الجامعات في بلاد الإســـلام فطورت بلادهم؟ هل اكتشـــف جوانب عظمة في تراثنا جعلتنا أكثر معرفة بديننا وحضـاراتنا وأكثر اسـتمسـاكا به؟ هل أحدث نهضـة حضـارية في مجتمع المسلمين؟ هل واجه الغرب في فكره وكان سببا في نهضة دعوية كبيرة هناك؟ هل كشـف للمسـلمين خطط الغرب ومسـاعيه لتدمير العالم الإسـلامي ليحتاط ويحذر؟

لم يحدث من هذا شـــيء، بل حدث النقيض تماما، إذا؛ لماذا حدث النقيض؟ «لأنه بقي خوف الغرب من أن تتســلل تعاليم الإســلام ووحدانيتهم التي نقلوها إلى أبنائهم ... ولهذا بَدَأوا بتأليف الكتب وتشويه المفاهيم الإسلامية الصحيحة والطعن فيها وتزييف الحقائق وحصار الفكر الأوروبي»[١]

---

(١) الغزو الفكري والرد على افتراءات المستشرقين، محمد عللوة، ص٤، الأقصى للدراسات والترجمة والنشر، ط١، ٢٠٠٢م، وانظر: الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي، ص٣٩ وما بعدها

المسلمون ليسوا في حاجة إلى ميراث المستشرقين الفكري والفلسفي والثقافي والتاريخي والأدبي، كل ذلك لا يفيد الأمة بل يؤخرها ويشوهها، نحن في حاجة إلى العلوم المادية التي سرقوا أصولها منا ونسبوها لأنفسهم، أما الثقافة والفكر والفلسفة والأدب والتاريخ فعندنا بأقلامنا ما يغنينا عن تراثهم الذي ينطلق من تحقير الآخر واستصغاره [١]

التساؤل الثالث:

بماذا أضير الفكر الإسلامي من الموروث السيء للاستشراق والمستشرقين؟

بماذا أضير من شبهات الاستشراق؟ بماذا أضير من مناهج المستشرقين الفاسدة؟ بماذا أضير من تزوير التاريخ؟ بماذا أضير اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وفكريا ودينيا؟ كم من الجهد بذل لمواجهة خراب المستشرقين وتلامذتهم على الفكر الإسلامي؟

إذا كان بالإمكان حصر الحسنات لقلتها، فلا يمكن حصر الأضرار لكثرتها.

فلولا الأثر العظيم والخطير للموروث الاستشراقي على الفكر الإسلامي لما كان من ضرورة لنقد هذا الموروث الفكري، لكن خطره أمسى واضحا لكل ذي عين راصدة مطلعة على الثقافة العامة [٢]، ناهيك عن ذوي البصائر والنهى والوعى.

---

(١) راجع: الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، ٧٣- ٧٥، ترجمة د. عمر فروخ، دار العلم للملايين، ١٩٨٤م.

(٢) راجع: الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي، ص ٤٩، ٥٠. وبين الإسلام والغرب- ضراوة أحقاد ومرارة حصاد، على محمد عبد الوهاب، ص١٩٧- ١٩٩، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٠م

يقول الدكتور "محمود حمدي زقزوق" في إطار حديثه عن مواجهة حركة الاستشراق :«علينا أن ننظر إلى حركة الاستشراق بكل جدية و نأخذ في الحسبان أن لها آثارًا كبيرة على قطاعات عريضة من المثقفين في العالم الإسلامي وفي العالم الغربي على السواء»[١]، فالغاية الكبرى للاستشراق هي هدم هذا الكيان الإسلامي عن طريق «تقديم أضواء على الفكر الإسلامي والمجتمع الإسلامي من أجل القدرة على وضع المخطط السياسي للسيطرة الاستعمارية، والبحث عن ثغرات في الفكر الإسلامي لإثارة الشبهات حولها» [٢] والأمر لم يعد خافيا «فالكثير من الدراسات الاستشراقية في مجال الإسلاميات تهدف بطريق مباشر أو غير مباشر إلى طمس معالم هويتنا، والتشكيك في عقائدنا وتراثنا، والنيل من استقلالية شخصيتنا العربية والإسلامية» [٣] « لقد أصر الغرب إصرارا على دفن حقيقة العرب في مقبرة الأحكام المتعسفة والافتراءات الجماعية دفنا، وأهال عليها ما أهال طمسا منه لمعالمها... حتى يومنا هذا تصبغ المغالطات والتحريفات التاريخية في مجال المعلومات العامة عن العرب، صبغة يبدو أنها لا تنمحي أو تزول»[٤] ويفصل هذا د "زقزوق" في أكثر من مواضع من كتابه فيقول عن القرآن: «لقد حذا المستشرقون المتحاملون على الإسلام في موقفهم من القرآن حذو مشركي مكة، وبذلوا محاولات مستميتة لبيان أن القرآن ليس وحيا من عند الله وإنما هو

---

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، الدكتور محمود حمدي زقزوق، دار المعارف، ط ١٩٩٧م: ص١٣٧.

(٢) التبشر والاستشراق والدعوات الهدامة، (الجزء الخامس من موسوعة: مقدمات العلوم والمناهج)، أنور الجندي– ص١٣٦، دار الأنصار، ط ١٩٨٣م

(٣) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص١٣٦ [دكتور زقزوق مثل غيره لا ينكر وجود منصفين، وذكر ذلك في كتابه، لكن معرفة ذلك شيء ومواجهة خطر الاستشراق بشكل عام شيء آخر، وهذا ما ينبغي أن يكون واضحا في أذهان المتخصصين في قضية الاستشراق]

(٤) الله ليس كذلك، زيجريد هونكه، ص ٧، ٨ ، دار الشروق، ط٢، ١٩٩٦م، وانظر للمؤلفة: شمس الله تشرق على الغرب– فضل العرب على أوروبا، ص٩، ١٠، دار العالم العربى، ٢٠٠٨م

من تأليف محمد - صلى الله عليه وسلم- ... وفي السنة: اجتهدوا أن ينسبوا السنة إلى المسلمين وليس إلى نبي الإسلام، وتزعم "جولد تسهير" هذا الزعم الباطل... وفي الشريعة: كانوا أصحاب القول الكذب أن شريعتنا الغراء مستمدة من مصادر أجنبية أهمها القانون الروماني...وفي الفلسفة: يميل نفر من المستشرقين إلى تجريد العقلية الإسلامية من كل لون من ألوان الإبداع الفكري وينكرون على فلاسفة الإسلام الجدة والأصالة في تفكيرهم ويعتبرونهم مجرد نقلة للتراث اليوناني»(١) وهذه من أفْرِى الفِرَى وأكثرها سوادا في طمس شمس المسلمين ونور الحق.

«والاستشراق - من بين شتى العلوم الأخرى - لم يطور كثيرا في أساليبه ومناهجه، وفي دراسته للإسلام لم يستطع أن يحرر نفسه تماما من الخلفية الدينية للجدل اللاهوتي العقيم الذي انبثق منه الاستشراق أساسا، ولم يتغير شيء من هذا الوضع حتى اليوم باستثناء بعض الشواذ... ولا يزال في الغرب إلى حد كبير يُنْظَر إلى الإسلام بمنظار القرون الوسطى، وترسخ في أذهان الناس في الغرب كل المفاهيم الخاطئة عن الإسلام، وتجعل منه -ظلما وافتراء- دينا عدوانيا إرهابيا دمويا لا يعرف للإنسان حقوقا، ويمثل خطرا داهما على الحضارة الغربية» (٢)

وقد استطاعوا نشر هذه الأفكار عبر أوسع القنوات وأكثرها تأثيرا «فأخطر ما يتصل بعمل المستشرقين هو النفوذ والقدرة على فرض هذا العمل المليء

---

(١) انظر باختصار: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص٨٦، ٨٧، ١٠٠، ١٠٦، ١٠٧ ، ١١٣، ١١٧، وراجع: التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة، أنور الجندي، ص١٧١- ١٩٨.

(٢)الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ١٢١، ١٢٢، وانظر: شمس الله تشرق على الغرب، زيجريد هونكة، ص١٠، ١١. ومحمد رسول الله، اتين دينيه- سليمان بن إبراهيم- ترجمة د. عبد الحليم محمود، ص٣٤٤، ٣٤٥، دار المعارف، ط١٩٨٦،٣م. والإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، ٥٢،٥٣ .

بالشبهات والزيف على مناهج التعليم والثقافة والفكر في العالم الإسلامي وكسب الأنصار له... وتسليمه من يد إلى يد ونقله إلى أهل التبعية العرب...وترديده في كل مناسبة وخلق معارك حوله لتعميق مفهومه وتوسيع دائرة الانتفاع به... ولقد لقحت مناهج المستشرقين في البحث والنقد العلمي قرائح كثير من تلاميذ المستشرقين فنهجوا نهجهم، وأخذوا طريقهم فيما حاولوا من دراسات، خاصة في مجال الجامعة والثقافة والصحافة، وحملوا نفس خصومة المستشرقين الدينية والسياسية للإسلام والمسلمين، وكانوا أشد قسوة على أهليهم من الغربيين» [١].

وبعد هذا تجد من يفتتن بالمستشرقين، يقول "اتين دينيه" "ناصر الدين دينيه"، بعد إسلامه، «إنه لمن الغريب حقا أن يفتتن بعض الشباب المسلمين بالمستشرقين مع ما يرون من كراهيتهم للإسلام وتعصبهم ضده، وجهلهم أو تجاهلهم من أجل حاجات في أنفسهم» [٢].

لذا أصبح من الضروري نقد هذا الإنتاج الفكري ومواجهة مخاطره، وآثاره المدمرة معنويا، وثقافيا، بل وماديا.

هل الاستشراق قسمان متضادان متنافران؟

حين يطلع القارئ العربي على ما كتبه بعض علماء الإسلام عن الاستشراق، يتوهم أن الاستشراق والمستشرقين قسمان؛ قسم منصف وقسم مجحف، وذلك بسبب لغة العرض التي يفهم منها أننا نظلم الاستشراق والمستشرقين حين نغمض أعيننا عن المنصفين، وحين لا نرى جهودهم الجبارة في البحث والدراسة.

---

(١) التبشر والاستشراق والدعوات الهدامة، أنور الجندي، ص١٣٦، ١٣٧

(٢) محمد رسول الله، اتين دينيه- ناصر الدين دينيه- ترجمة د. عبد الحليم محمود، ص٥٥.

وهنا بالضبط تكون القاضية؛ فحين ذهبت تنصف بعض المستشرقين خوفا من تهمة التعصــــب وقعت في ظلم عامة المســـلمين وطلاب العلم، حين أوهمتهم دون إرادة أن الاستشراق ينقسم إلى قسمين متوازيين، ومتضادين، ومتناقضين؛ قسم منصف معتدل وقسم مجحف معادي، والحقيقة أن الاستشراق قسم واحد، وعمل واحد، وجانب واحد، وشــــعبة واحدة، وفريق واحد، وطائفة واحدة [١]، لكن ظهر بداخله بعض الاختلاف وبعض التغيير وبعض الشـذوذ عن القاعدة العامة والمنهج العام، وهذا نلمسه في عدد هؤلاء المنصفين وفي أثرهم الذي لا يكاد يُرى، لذا فالإنصــاف ذاته يتطلب أن نظهر هذه النسـبة ونجليها ونعظمها حتى لا يقع قراء العربية في وهم الفريقين والشعبتين والجانبين.

وجملة من المنصـفين أنفسـهم، أو من ثبت إنصـافهم، أو من نظنهم منصـفين، أو من هداه الله إلى لإســلام؛ حين يتحدثون على الاســتشــراق لا يقســمون الاســتشـراق إلى قسـمين وشـعبيتين ووجهتين، بل تلمح من كلامهم أنهم يرونه شـــيئا واحدا معاديا للحقيقة، ومتعصـــبا للأكاذيب [٢]، رغم علمهم الأكيد

---

(١) هذا لا يعني إلغاء ما يسمى بمدارس الاستشراق، فهي حقيقة واقعية، لكن المناهج كلها تقريبا واحدة، مع اختلاف بين المدرسة الغربية، والأمريكية، والمدرسة الشرقية-إن صح التعبير- الروسية، نعم هناك فرق بين أي مدرسة لا تنتمي للحظيرة الأوربية وبين المدرسة الأوربية، إلا إذا كان المستشرقون في تلك المدارس يعتمدون في معلوماتهم على مستشرقي المدرسة الأوربية الكبيرة، فعندها لا فرق، فالنتيجة واحدة، ولذا لا يصلح الحكم عاما هنا، بل لابد من النظر في نتاج كل مستشرق على حدة، للحكم عليه، هل يختلف عن الاتجاه العام للمدرسة الأوربية، أو هو داخل فيها، مُشتَمِل بها، متدثر بمخرجاتها؟

(٢) راجع على سبيل المثال: مؤلفات المستشرقة الألمانية "زيجريد هونكة"، ذُكر ثلاثة منها داخل هذا البحث، والمستشرقة الإيطالية "لورا فيشيا" في مؤلفها "دفاع عن الإسلام" ترجمة منير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط٣، ١٩٧٦م، و "ماريا بيا بياداني" في مؤلفها: "البدقية بوابة الشرق" ترجمة د حسين محمود، أبو ظبي ، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، مشروع كلمة، ط١، ٢٠١٧م ، و"تساريس وادي" الكاتبة والمستشرقة الإنجليزية، في مؤلفها "العقل المسلم" والذى شرحه وعلق عليه د عبد الجليل شلبي

بوجودهم هُم كرافضـين لهذا الاتجاه الغربي المتعصـب، ورغم معرفتهم الأكيدة بالمسـتشـرقين الآخرين من أمثالهم الذين رفضـوا هذا الزيف وهذه الأكاذيب، فقولهم هذا وموقفهم هذا لا ينفي –بدَاهَة– وجود بعض الحالات النادرة التي لا يشـملها هذا الوصـف، لأن لكل قاعدة اسـتثناؤها، خاصـة في مجال الفكر، والثقافة، والاجتماعيات، والأمور الإنسـانية، فهلا تحدثنا عن الاسـتشـراق بلغة هؤلاء المهتدين، أو هؤلاء الذين ثبت إنصـافهم، وإلا حُق لنا أن نصـف هؤلاء المنصـفين أنهم من المجحفين لأنهم لم يقسـموا الاسـتشـراق والمسـتشـرقين إلى قسمين!

دفع المضار مقدم على جلب المنافع

لعله من المفيد هنا الاستعانة بقواعد الفكر الأصـولية والفقهية والمقاصـدية التي تمدنا بأسـس حاكمة من شـأنها حفظ الدين والأمة معا، يأتي «المقصـد العام للشارع من تشريعه الأحكام وهو تحقيق مصالح الناس بكفالة ضرورياتهم، وتوفير حاجياتهم وتحسينياتهم، فكل حكم شرعي ما قصد به إلا واحد من هذه الثلاثة التي تتكون منها مصالح الناس، ولا يراعى تحسيني إذا كان في مراعاته إخلال بحاجي، ولا يراعى حاجي وتحسيني إذا كان في مراعاة أحدهما إخلال بضروري» [١].

وقد تفرع عن هذه القاعدة عدة قواعد منها:

«يرتكب أخف الضـررين اتقاء لأشـدهما... و يتحمل الضـرر الخاص لدفع الضرر العام... ودفع المضار مقدم على جلب المنافع» [٢]

في كتابه، صور استشراقية، وهو مذكور في هذا البحث، واتين دينيه، "ناصر الدين دينيه" بعد إسلامه في مؤلفه محمد رسول الله، وقد ذكر داخل هذا البحث.

(١) علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف، ص١٩٧، ط٨، دار القلم

(٢) علم أصول الفقه ، عبد الوهاب خلاف، ص١٩٧، ٢٠٧، ٢٠٨ .

فجَرْيًا على هذه القواعد التي تقود العقل وتوجه الفكر لسديد الرأي وأحسن المسالك، فقد اختلط في عالم الاستشراق الصالح بالفاسد، وغطى الفاسد على الصالح، وصار معرفة الصالح مشكل لا يتقنه إلا أهل التخصص الدقيق، وظهر من الواقع الضرر المحقق من ميراث المستشرقين، « فتقديم درء المفاسد على جلب المنافع من الأمور الطبيعية كما هو من الأصول الشرعية» [١].

ولغة الحديث عن المستشرقين حاكمة في توجيه عقول القارئين والسامعين، فهي ترسل رسائل إيجابية أو سلبية، ليتلقاها المتلقي ويكيف حياته على خيوطها وتوجيهاتها، فأصبح من مراعاة مصالح الأمة أن تتغير لغة الحديث عن الاستشراق، ويعلوها النقد الشامل، أو النقض، فالنقد الشامل الواسع المستقرئ لأركان عملية للاستشراق سيقود في النهاية إلى النقض، الذى يتبعه بناء جديد على أسس سليمة، وذاتية حقيقية.

الانتظار السلبي: "توقع الإنصاف من الغرب"؟

والغريب –كما يقول دكتور زقزوق– أن يتوقع المسلمون من المستشرقين الحيادية أو الإنصاف ناهيك عن الثناء والإطراء للإسلام والفكر الإسلامي والتاريخ والحضارة الإسلامية!! [٢]

إذ كيف يُنتظر هذا المأمول البعيد من قوم حركتهم الكراهية والبغضاء ودفعتهم إلى دراسة الإسلام والمسلمين، ولو صدر شيء من إنصاف من بعضهم فهذا هو الشاذ الذي لا يقاس عليه أبدا، فضلا عن أن يُرى أنه الأصل وغيره النادر الشاذ!!

(١) مجلة المنار–محمد رشيد رضا (٢ / ٧٠٥) من مقال: الزكاة والتمدن، والإيمان والإنسانية

(٢) انظر: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ٨٣

فالاختلاف في المنهجية والدراسة والحكم بين المسلمين والمستشرقين أمر متوقع، والإجحاف وعدم الإنصاف، وإعلان العداء أو إضماره أمر قائم لا محالة من بداية العمل الاستشراقي في صُورِهِ الأولية البسيطة، وفي صورته الأكاديمية المركبة.

مواجهة الاستسلام الفكري.

يقول الندوي: « إذا أراد العالم الإسلامي أن يقوم على قدميه ويفكر بعقله – أن يقاوم هذا الخضوع ويكون فيه علماء عماليق وكتاب جهابذة يتناولون الحضارة الغربية بالنقد والتشريح، وكتابات المستشرقين وآرائهم بالجرح والتعديل، ويتبحرون في العلوم الإسلامية ويتعمقون فيها حتى يفيد منهم كبار المستشرقين في أوربا وأمريكا ويصححون بهم آراءهم وأخطاءهم، ويتوجه رواد العلم والتحقيق والدراسات العالية إلى عواصم العالم العربي وحواضر العالم الإسلامي، كما اعتادوا أن يتوجهوا إلى عواصم أوربا وأمريكا»[١] وهذا رأي قمين بالنشر والبيان، وهو خلاصة ما يقصده هذا البحث ويسعى إلى توضيحه وبيان طرقه وكيفيته؛ مقاومة الخضوع بتناول الحضارة الغربية وكتابات المستشرقين وآراءهم بالجرح والتعديل، والتبحر في العلوم الإسلامية والتعمق فيها، حتى يفيد كبار المستشرقين في أوربا وأمريكا ويصححون آراءهم وأخطاءهم، لتصبح العواصم الإسلامية مصدر العلم والفكر، بدل أن تكون مستكينة مستسلمة فكريا لكل وارد.

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، (١/ ٢٣٨) مكتبة الإيمان، المنصورة – مصر

المبحث الثاني

أهمية نقد الخطاب الاستشراقي حول الإسلام

بتبني المشروعية الفكرية لنقد الخطاب الاستشراقي من خلال ما سبق، فهذا يحتم علينا إعداد مشروع للنقد، وتتمثل أهميته ودوافعه وأسباب العمل عليه في:

١- كشف حقيقة تاريخ الاستشراق بداية من نشأته وترعرعه في حضن اللاهوت وتحت كنف الرهبان وآباء الكنائس وبقيادتهم [(١)]، مرورا بتطوره ليصبح آلة في يد الغرب المسيحي، في ثوبه الديني، أو في ثوبه السياسي، أو الثقافي، أو الفكري، ليكون بعد ذلك وسيلة وآلة الغرب في العصر الحاضر لتوجيه العقول بتوجيه الأفكار والثقافات، لتحدِث التغيير المطلوب وفق المصالح الغربية.

«فعلى سبيل المثال شهدت العصور الوسطى لونا من الاستشراق كان من نتاج التعصب الديني الذي كان من خصائص تلك العصور الوسيطة، فقد أقبل بعض الأوربيين على الاستشراق من أجل الكيد للإسلام والعروبة... وهي حركة واسعة منظمة... وكان هذا العداء هو في الحقيقة صورة للعداء الذي ساد بين الشرق والغرب في العصور الوسطى... وقد أدى قيام الحروب الصليبية إلى ازدياد روح التعصب الديني وانعكست هذه الروح على الاستشراق... والواقع أن هذه الحملة كانت أشبه بحركة مقاومة علمية

---

(١) وقد كانت الكنيسة في هذا الوقت هي الدولة أيضا، فالملوك والأمراء والتجار كلهم تحت إمرة البابا، ينصب من يريد ويعزل من يريد، والشعب كله من خلف الكنيسة، ولذا فالسلطة الدينية هي السلطة الدنيوية، وقد بدأ الاستشراق في شكل من أشكاله ولون من ألوانه قبل الحروب الصليبية، ثم كان بشكل مختلف ونظام مختلف بعد الحروب الصليبية وأخذ يتطور مع الزمن، لكن المقصد من هذا التعليق هو بيان أن الاستشراق من بدايته طابعه سياسي دنيوي حتى لو كان الباعث والداعي إليه رجال الدين والكنيسة. راجع ما كتبه ول ديورانت ، عن: عصر الإيمان – المسيحية في عنفوانها – إيطاليا قبل النهضة – فردريك الثاني – النزاع بين الإمبراطورية والبابوية ، في: "قصة الحضارة"، ول ديورانت، مج٦ /ج١٦/ص ٣٨٦ وما قبلها وما بعدها) طبعة جامعة الدول العربية، ودار الجيل ببيروت

للإسلام... سلاح المقاومة لهذا الدين بوسائل علمية وعن طريق الهدم المعنوي في حرب ظاهرها العلم والبحث وباطنها المكر والخبث»(١)

وأصـــبح لهذا اللون من الاســـتشـــراق اليد الطولى في الحديث عن الإســـلام والمسلمين منذ ذلك التاريخ حتى اليوم.

٢- كشف التراث الاستشراقي في تناوله للإسلام والمسلمين وعرضه عرضا يسمح برؤيته بشكل واضح لا يسمح باللبس والغموض، ويزيح تراكمات الإعلام الكاذب المضلل الذي يحيل السم إلى عسل والفاسد إلى صالح، «إن موضوع الساعة الخطير ليحتم فضح تلك الأحكام المتجنية والمتعسفة وإزالتها، وشتى المعلومات الفجة الظالمة الزائفة، التي تلصـــق منذ قرون بالإســـلام، وبمن حملوه ودانوا به وبلغوه كما ينبغي، وكذلك بتاريخ هذا الدين»(٢) ومن ثم يسمح للأجيال المســـلمة المطلعة على هذا التراث بالقدرة على معرفة الجيد من الخبيث، والصـــالح من الطالح في هذا الكم الرهيب من الميراث الاســتشــراقي الواسع.

٣- كشف حقيقة المستشرقين العلمية ووضعها في مكانها الصحيح، والتفريق بين العلماء والمتطفلين ومدعي العلم بين جحافل من يطلق عليهم مستشرقون، فما أكثرهم، فهذه الأعداد الرهيبة في حاجة إلى فرز للتفريق بين أصـــحـــاب الإنتاج العلمي الوفير وبين المرددين لما سبق، العالة على غيرهم، «فلابد أن يتوفر في هذا المســـتشـــرق الشـــروط الواجب توافرها في العالم المتخصـــص المتعمق حتى ينتج ويفيد البشرية والحضارة [التي ينتمى إليها ويخدمها] بإنتاجه

(١) انظر : بتصرف: المستشرقون والتاريخ الإسلامي، على حسن الخربوطلي، ص٣٧، ٤١، ٤٢ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٧٠

(٢) الله ليس كذلك، زيجريد هونكة، ص٩ .

العلمي»[١] وهذا النقد أو الفرز يسمح بمعرفة حقيقية لقيمة هؤلاء المستشرقين العلمية، كما يسمح أيضا برؤية سليمة لهذا الجيش الكبير ، فكثرتهم والحديث عنهم جميعا كأن كل واحد منهم عَلَم فريد في بابه أحدث ربكة عند الباحثين فضلا عند غيرهم.

٤- كشف المناهج التي سلكها هؤلاء المستشرقون في تناولهم الإسلام والمسلمين، فبدون النقد لا يمكن بحال وضع ميزان لهذا الموروث الفكري، لكن معرفة مناهجهم، وكشف الصالح منها والفاسد في غاية الأهمية لكشف هذا الكم الرهيب من الصفحات المكتوبة والمسودة عن الإسلام والمسلمين، بل لعل هذا الكشف هو أهم ما يمكن أن يصل إليه الناقد للخطاب الاستشراقي حول الإسلام، وقد ظهر عدد لا بأس به ممكن كشفوا الاستشراق من هذا الجانب الفني الثمين، وقد صارت هذه الدراسات النقدية بمثابة المفاتيح التي تقود وتفتح الأبواب وتفتح الأفق وتوسع دائرة الرؤية لكل مطلع على نتاج المستشرقين.

٥- الاستفادة الحقيقية من أي إيجابية- إن وجدت- في هذا الميراث الضخم، وهذه آخر خطوة في العمل مع نتاج المستشرقين، ولا يمكن بحال أن نبدأ بها، فمن ليس لديه عقلية نقدية سليمة لن يستفيد من ميراث المستشرقين بل سيكون معولا من معاولهم وجنديا من جنودهم يردد أقوالهم، ويضع الجيد بجوار الرديء، والحسن بجوار القبيح، ويزيد الظلام ظلاما والجهل جهلا، لكن مع النقد السليم للتاريخ والأشخاص والأفكار والمناهج فلا شك أن الاستفادة ستكون استفادة حقيقية.

٦- كشف الأهداف الحقيقية التي من أجلها انطلق هؤلاء المستشرقون ومَن خلفهم لدراسة الإسلام والمسلمين، ويمكن معرفة هذه الأهداف بسهولة من خلال رؤية الأثر الفكري والعلمي والثقافي بل والديني والسياسي الذي تركه

(١) المستشرقون والتاريخ الإسلامي، على حسن الخربوطلي، ص٢٦ .

المســتشــرقون على أبناء الأمة الإســلامية، ذاك الأثر الذي يتمثل في ظهور العلمانية مثلا بين صــفوف المســلمين، والذي يتمثل في ظهور الشــبهات وانتشــارها، ويتمثل في ظهور تيارات معاداة الدين في البلاد الإســلامية، وفي ظهور موجات الإلحاد والإباحية، وفي ظهور كتائب لا حصـر لها ممن تَشَـوَّه الإســلام في عقولهم فصــار قرين التخلف والرجعية والفقر والمرض، ونراه في كل كتاب أو قصة أو دوان شعر قد نشر وترى صاحبه غارقا في الفكر المادي منغمسا فيه حتى أذنيه، لا تلمس أثرا لدين أو رسالة أو دعوة، فقصته من أولها إلى آخرها ليس فيها ساعة يذهب فيها البطل ليصلى، أو وقتا لحجٍ أو صيام، أو وقتا للقرآن، لقد سيطرت عليه الرؤية الغربية في بيان ما يدور بداخله ويكتبه قلمه

وقد يقال هنا أن من أهداف بعض المســتشــرقين الأهداف العلمية «فقد أقبل الأوربيون ينهلون من منابع الحضــارة العربية، وقدم طلاب العلم من كل أرجاء أوروبا على بلاد الأندلس يدرسـون في جامعتها ومعاهدها... وحينما أصـبحت الحضــارة الشــرقية هي أســاس القارة الأوربية أصــبح الأوربيون حينئذ مسـتشـرقين...وقد اتخذ اقبال الأوربيين على الاسـتفادة من الحضـارة العربية شكلا علميا منظما مما يجعله استشراقا على أسس علمية ثابتة واضـحة» (١)

ومن ثم فبناء على هذه الرؤية هناك جانب مشرق في تلك الدراسات، يجب ألا نغفله أو نهمله.

والحقيقة أن هذا الرأي في حاجة إلى نقاش، فكما جاء في القول المنسوب إلى المسـيح –عليه السـلام– ‹‹مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ. هَلْ يَجْتَنُونَ مِنَ الشَّـوْكِ عِنَبًا، أَوْ مِنَ الْحَسَـكِ تِينًا؟ ١٧ هكَذَا كُلُّ شَـجَرَةٍ جَيِّدَةٍ تَصْـنَعُ أَثْمَارًا جَيِّدَةً، وَأَمَّا الشَّـجَرَةُ الرَّدِيَّةُ فَتَصْنَعُ أَثْمَارًا رَدِيَّةً، ١٨ لاَ تَقْدِرُ شَـجَرَةٌ جَيِّدَةٌ أَنْ تَصْـنَعَ أَثْمَارًا رَدِيَّةً، وَلاَ شَـجَرَةٌ رَدِيَّةٌ أَنْ تَصْـنَعَ أَثْمَارًا جَيِّدَةً. ١٩ كُلُّ شَـجَرَةٍ لاَ تَصْـنَعُ ثَمَرًا جَيِّدًا تُقْطَعُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ. ٢٠ فَإِذًا

() [١] المستشرقون والتاريخ الإسلامي، على حسن الخربوطلي، ص٣٢، ٣٣.

مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ»[1] وصدق الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ} [إبراهيم: ٢٤، ٢٦]}

أين ثمرة أبحاث هؤلاء المستشرقين الذين لا يقصدون إلا البحث والعلم؟ أين أثر هؤلاء في الغرب المسيحي؟ أين دورهم في تغيير العقلية الغربية لتتحول إلى مناصرةٍ للإسلام داعية له ومنادية به؟! أين دورها في نُصرة قضية الإسلام في مجتمعاتها الغربية مقارنة بأثر المستشرقين الذين حركهم التعصب والكيد للإسلام؟ بل أين أتباعهم الذين تلقوا على أيديهم العلم ونقلوه بدورهم إلى أتباعهم؟

لو كان حدث ذلك لما نشب الاستعمار الغاشم أظافره في جسد الأمة الإسلامية، لو كانت أهدافهم حقا نبيلة وعلمية حقيقية لتحولت بعض بلدان أو مدن أوروبا إلى الإسلام، كما حدث في بلاد مثل ماليزيا وإندونسيا وبروناي وغيرها، أعجز هؤلاء الذين درسوا للعلم ومن أجل العلم وحبا في الحق والنور أن يؤثروا في بلدانهم كما أثر علماء المسلمين وتجارهم في بلاد شرق أسيا!! لكن الحقيقة أن مقصد جل ومعظم هؤلاء المستشرقين كان مجرد الاستفادة المادية من علوم المسلمين المادية والتنظيمية مع إضمار العداء لهم والتربص بهم ووضع الخطط لهدم بنيانهم، فهم سواء مع غيرهم، فكما زيف الآخرون تاريخ المسلمين الديني والحضاري والسياسي، قام هؤلاء بسرقة تلك العلوم المادية ونسبتها إلى أنفسهم، وزيفوا تاريخ العلوم.

«أليس العرب هم مؤسسو علوم الكيمياء والفيزياء الطبية وعلم الجبر والحساب بمعناه الحالي وحساب مثلثات الدوائر والجيولوجيا وعلم الاجتماع وعلم الكلام،

---

[1] متى ٧ / ١٦-٢٠

ولم يكن هناك من بد أن يفرض هذا التراث العلمي نفسه على الغرب، الغرب الذي نسب جل هذا التراث إلى جانب الاكتشافات والاختراعات التي لا تحصى في مجالات المعرفة، زورا وبهتانا إلى علمائه»(١).

إذا النتيجة واحدة والأثر واحد سواء من خرج لطلب العلوم الإنسانية أو من خرج لطلب العلوم المادية، في النهاية هؤلاء سرقوا التراث والعلم ونسبوه إلى أنفسهم، وهؤلاء زيفوا الحق وقدموه إلى أتباعهم بصورة منفرة تمنعهم عن مجرد التعاطف مع هذا الدين.

٧- التعرف على وسائل وأساليب المستشرقين في دراسة الإسلام، وفي بناء هذه الأفكار المشحونة بالمغالطات والأكاذيب، وفي نشرها وفي الترويج لها، ومن ثم يمكننا ذلك من تتبع هذه الوسائل ومحاولة إصلاح ما أفسده المستشرقون وإلا فإن العمل يبقى ناقصا إذا لم نتمكن من تتبع كل موضع سلكه المستشرقون ومن خلاله بثوا ما لديهم، قد تكون هذه الوسائل طابعات مدارس وجامعات مراكز بحثيه كراسي علمية لدراسة اللغة العربية، صحف مجلات، بعثات، مؤتمرات، إثارة النعرات، نشر وترويج للهجات ... إلى غير ذلك من الوسائل التي قاموا باستخدامها(٢).

٨- الكشف عن ميزانيات الاستشراق التي رصدت من قبل الدول الداعمة والراعية لهذه الأعمال الضخمة، والتي بدونها ما كان لهذا الاستشراق أن يعطي عشر معشار ما أنتجه من صفحات ودراسات وأبحاث، وهذا الجانب أيضا من الجوانب المخفية المستترة التي قلما يلقى لها الباحثون بالا، بينما الحقيقة أن دراسة الاستشراق من غير معرفة الجهات الداعمة والراعية والحامية

---

(١) العقيدة والعلم- وحدة الدين الأوروبي وعلم الطبيعة، زيجريد هونكي، ترجمة محمد أبو حطب، ص١٧٠، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٧م، وانظر: ص٢٠٢، المرجع نفسه.

(٢) راجع: الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي، د محمد البهي، ص٥٢٤- ٥٢٦.

سيكون درسا ناقصا وجزئيا ولا يصلح لبناء فكرة سليمة، فاستخدام المطبوعات وإنشـاء الطابعات، وإنشـاء المدارس والجامعات، وتيسـير العمل لمجموعات ضخمة من العمل يستحيل أن يتم إلا بجهود دول ومؤسسات كبيرة لها ميزانيات ضـخمة، وقد كان من الخلل في مواجهة الاسـتشـراق مواجهته بجهود الأفراد بينما الاستشراق قام على أكتاف دول ومؤسسات ضخمة ترعى وتنفق وتؤسس وتحمي وتثابر في هذا الاتجاه حتى يؤتى أكله.

يقول إدوارد سـعيد: «علينا أن ندرك ما يتسـم به خطاب الاسـتشـراق من قوة متماسكة متلاحمة الوشائج، والروابط الوثيقة إلى أبعد حد بينه وبين المؤسسات السـياسـية والاقتصـادية والاجتماعية التي تمنحه القوة وقدرته الفائقة على الاسـتمرار... إنه كيان له وجوده النظري والعملي، وقد أنشـأه من أنشـأه واسـتثمرت فيه اسـتثمارات مادية على مر أجيال عديدة، وقد أدى اسـتمرار الاستثمار إلى أن أصبح الاستشراق باعتباره مذهبا معرفيا عن الشرق، شبكة مقبولة تسـمح منافذها بتسـريب صـورة الشـرق إلى وعي الغربيين، مثلما أدى تكاثر ذلك الاسـتمرار نفسـه، بل وتحوله إلى مصـدر حقيقي للإنتاج والكسـب إلى تكاثر الأقوال والأفكار التي تتسرب من الاستشراق إلى الثقافة العامة»(١).

وعملية النقد سـتسـمح بكشـف كل هذه الخريطة المالية الكبيرة ومن ثم تنير الطريق للسالكين والواعين لمدى وخطورة هذه الأعمال.

(١) الاستشراق– المفاهيم الغربية للشرق– إداورد سعيد، ص٥٠، محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩، والفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي، د محمد البهي، ص٥٢٦.

٩- تفنيد كل شبه المستشرقين حول القرآن والسنة والنبي - صلى الله عليه وسلم- وآل بيته المطهرين، والصحابة الكرام، والتاريخ الإسلامي، والسيرة والفقه والشريعة، والعقيدة..... وما أكثر هذه الشبه [١]

وهذا باب ضـــخم ولجه جمع كبير من علماء المســـلمين من قديم، وحظي بالنصيب الأكبر في الجانب النقدي لتراث المستشرقين في الحديث « ولا ريب أن دحض الشبهات التي تثار نوع من الجهاد الذي يجب على كل قادر عليه أن يقوم به، وأن علينا أن نواجه القوم بكل ما نستطيع»[٢]، وقد قامت بعض المؤسسات بعمل موسوعات في نقد ورد افتراءات المستشرقين.

كما شغل هذا الباب بال الأقسام العلمية المتخصصة فبذلت فيه وقتا وجهدا ضخما لباحثين كثر تركزت أبحاثهم للرد على شبه المستشرقين.

١٠- إظهار عظمة الإسلام؛ فهذا النقد لشبه المستشرقين، وهذه الرد الذي يقوم بها علماء ودعاة الإسلام من شأنه أن يظهر عظمة الإسلام ورقيه وكماله، فكما يظهر النقد فســـاد رأى الخبثاء والماكرين والكذابين، يظهر في المقابل

---

(١) فعلى سبيل المثال: ذكر الشيخ الشعراوي -رحمه الله- أنه تلقى في عام واحد سبعة عشر كتابا كلها من بلاد إسلامية، وهذه الكتب تشترك في سمة واحدة، هي ما وصل إلى هذه البلاد من تشكيكات في الدين، تشكيكات حول أصل الدين والوحي والعقيدة والنبوة، وتشكيكات حول نظام الإسلام وصلاحيته، وقرآنه ونبيه، وشريعته، تشكيكات من الشرق الملحد، وتشكيكات من أهل الكتاب من الغرب. انظر: شبهات وأباطيل خصوم الإسلام والرد عليها، محمد متولى الشعراوي، ص ٢١، ٢٢ ، مكتبة التراث الإسلامي، ١٩٨٣م [والكتاب عبارة عن ردود على بعض شبهات المستشرقين التي جاءت في مؤتمر كلورادو التنصيري ١٩٧٨ بالولايات المتحدة الأمريكية، وقد أشار إلى بحث "بشير عبد المسيح" وكان بعنوان:"استمالة المسلم عن طريق تجسيد شمائل وسلوك المسيح" . راجع: التنصير - خطة لغزو العالم الإسلامى -الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التبشيرى الذى عقد فى مدينة جلين آيرى بولاية كولورادو فى الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٧٨م - دار MARC . بدون تاريخ.

(٢) صور استشراقية، عبد الجليل عبده شلبي، ص٢١٧، مجمع البحوث الإسلامية، ١٩٧٨م

حسن الإسلام ورونقه وما فيه من خير وجمال، «فإعلان خصوم الإسلام عن هذه القضايا مقصود لله تعالى، حتى يظهر إعجاز القرآن، ويظهر أنه من عند الله على مر العصور، كما قال الشاعر: وإذا أراد الله نشر فضيلة .. طويت أتاح لها لسان حسود [(١)]

إذن: فالمعطيات التي صنعها أهل الكفر هي التي دفعت أهل الإيمان إلى الرد عليها، فبدا جمال الدين، وجلال القرآن»[(٢)].

١١- كشف خطوط وتفاصيل وجزئيات المؤامرة الكبرى على الإسلام والمسلمين، ومعرفة ما هي الخريطة التنفيذية لمواجهة الإسلام، وكيف تم تطبيقها على أرض الواقع، وذلك من خلال "النقد المتخصص" حيث يمكننا هذا النقد من كشف خطط الأعداء في محاولاتهم هدم بناء الإسلام والمسلمين، والوقوف على خيوط الشبكة العنكبوتية الأخطبوتية في هذا الشأن [(٣)]، لأنه بدون كشف هذه التفاصيل واحدة واحدة، وتتبع كل واحدة منها لمعرفة تفاصيلها بدقة، فستكون المواجهة بلا أي قيمة حقيقية، ولا أثر يذكر، فعلى سبيل المثال إذا أخذنا قضية "إضعاف سلطان الإسلام في نفوس المسلمين" كأحد وسائل وأساليب الغرب في مواجهة الإسلام وإضعاف المسلمين، [(٤)] إذا أخذنا هذه

---

(١) وهو قول مشهور من شعر حبيب الطائي، ونصه:
وإذا أراد الله نشر فضيلة ... طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ... ما كان يعرف طيب عرف العود
العقد الفريد-لابن عبد ربه الأندلسي (٢ / ١٧٥) دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠٤ هـ

(٢) شبهات وأباطيل خصوم الإسلام والرد عليها، محمد متولى الشعراوي، ص١٢٤ .

(٣) راجع في هذا الشأن: المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام، محمد محمود الصواف، ص١٤-٢٢، دار الاعتصام، ط٣، ١٩٧٩م.

(٤) وقد خصص المفكر الكبير "مالك بن نبي" كتابه "الصراع الفكري في البلاد المستعمرة" لهذه القضية، قضية " ما هي طرق التخريب التي يمارسها الاستعمار ضد أفكارنا؟" وأخذ يصورها ويفصلها

القضية ولم نعمل عليها عقليا وتاريخيا وواقعيا، ونعرف بالتفصيل ما هي طرق الغرب في تنفيذ هذا الأمر فكيف ندعي ساعتها أننا نواجه؟ فالنقد المتخصص من شأنه أن يكون الحل في كشف خيوط كل مؤامرة صغيرة، وكيف تم العمل عليها، وتصميم تصورات مختلفة تؤدي للهدف المنشود.

إننا نميل دوما إلى وضع خطط للمواجهة الإجمالية العامة الشاملة، والسبب هو التصور العام الشامل، والحقيقة أن التصور العام الشامل جيد في الخطاب العام، وفي التحفيز واستنهاض الهمم وتوجيه الجماهير، لكنه ضعيف الفاعلية في المواجهة والعلاج على أرض الواقع، فالأمر يتطلب معرفة التفاصيل ومواجهة التفاصيل، كما يفعل الطبيب المعالج حين يطلب الأشعة والفحوصات والسجل المرضي وغير ذلك من وسائل الكشف ليتمكن من تصور الحالة فيقرر العلاج وطريقته [١] .

١٢- كشف الغرب أمام أنفسهم، فليس تاريخ المسلمين ما ناله التحريف فقط، بل تاريخ الغرب ناله أقصى تحريف وتزوير بما يخدم الفكرة العدائية للإسلام، فتاريخ أوروبا أيضا تم تزويره ليتناسب مع التزوير المقابل لتاريخ أمة الإسلام، ففي الوقت الذي حاولوا طمس النور القادم من الشرق وتغيبه، قاموا بادعاء

ويكشف سبلها ومسالكها، حتى إنه شخصها في شكل مسرحي حي يجعل القارئ مدركا لما يبديه، يجعلنا ندرك من خلاله خطورة هؤلاء الذين يقومون برصد الأفكار، وأنه بدونهم ما استطاع العدو الاستمرار أو البقاء. راجع الصراع الفكري في البلاد المستعمرة ص١٤- ١٨، ١٩ وما بعدها

(١) هناك محاولات لفهم الواقع وفهم مخططات الأعداء وبيان أسباب التأخر والتخلف التي يرجع بعضها إلى مخططات الأعداء، ويرجع بعضها إلى المسلمين أنفسهم، وهذه الدراسات مجرد بدايات في طريق الوضوح والكشف وبيان التفاصيل وتقصي تلك التفاصيل، ثم عرض ما تيسر من سبل العلاج، على سبيل المثال دراسة الشيخ محمد الغزالي:"سر تأخر العرب والمسلمين" دار الريان للتراث، ١٩٨٧م

التحضـــر والرقي والنظام في بلدانهم، وتلك كذبة تلتها كذبات، وبنيت عليها آلاف الأكاذيب[١]

١٣- النقد أيضـــا ســـيســـمح بالتعرف على طريقة المســـتعمر في امتطاء المستشرقين، وتحويل اتجاهاتهم ومجالات أعمالهم ونتائج أبحاثهم بما يتناسب ومصـــالحه وبسـط نفوذه، «وهو يسـتعين من أجل ذلك بخريطة نفسـية للعالم الإسـلامي، وهي خريطة تجري عليها التعديلات اللازمة في كل يومن يقوم بها رجال متخصـصـون مكلفون برصـد الأفكار [المسـتشـرقون] إنه يرسم خططه الحربية ويعطي توجيهاته العملية على ضـــوء معرفة دقيقة لنفســـية البلاد المســـتعمرة، معرفة تسـوغ له معرفة العمل المناســـب لمواجهة الوعي في تلك البلاد حسب مستوياته وطبقاته»[٢] هذه الخريطة النفسية والعقلية التي تمكنه من صـــناعة وعي يتلاءم مع مصـــالح المحتل ، وذلك بعد طمس أو محاولة طمس الوعى المقاوم، أو الوعي الذاتي الممانع والرافض لمظاهر التســـلط والاستغلال.

---

(١) راجع: الله ليس كذلك، زيجريد هونكة. (الكتاب كله)

(٢) الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، مالك بن نبى، ص١٤، مكتبة دار العروبة، ومطبعة دار الجهاد، ١٩٦٠م.

المبحث الثالث

مجالات نقد الخطاب الاستشراقي حول الإسلام

مدخل: يعتقد بعض الباحثين أن المجال الوحيد لنقد الاســـتشـــراق هو نقد الشبهات أو رد شبهات المستشرقين، وبعضهم ضم إليه نقد مناهج المستشرقين، وتكاد تكون جل الدراســـات حول الاســـتشـــراق تدور في فلكيهما وتغزل من حولهما، ولا يخفى كم لهما من أهمية، لكن الأمر أوســـع من ذلك وأكبر، وهذا ما يهدف هذا المبحث لبيانه.

١- نقد تعريف الاستشراق ونشأته

أول ما يجب أن يوجه إليه جهود الناقدين والمحللين والدارسين للاستشراق هو نقد وتحليل مفهوم الاستشراق [١] ، فالمفاهيم والمصطلحات كانت ولا زالت من أهم طرق المضــامين ونشــر الثقافات، ويمكن توجيه أي مصــطلح ومفهوم من خلال تعريفه ليصــير ملائما للفئة المقصــودة، وصــدق النبي - صــلى الله عليه وســـلم- حين وصـــف من يطلقون على الخمر أســـماء يجتذبون من خلالها الشـــاربين دون أن يشــعروا بالخجل ما لو أطلقوا عليها اســمها، وربما يغيرون الاسم ليتغير الحكم- في زعمهم-.

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «" إِنَّ أُنَاسًا مِنْ أُمَّتِي يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ، يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا»[٢].

---

(١) سواء أكان من قام بالتعريف شرقي أم غربي، مسلم أم غير مسلم.

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (٢٩ / ٦١٥) حديث رجل من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم- المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١ - ٢٠٠١ م، يقول المحقق: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين.

كذا يجب الالتفات إلى النشأة، فبين التعريف والنشأة ارتباط كبير، تقول دكتورة زينب عبد العزيز: «جرى العرف على أن الكلمات تعرف بمعناها أو بمضمونها، إلا أن هناك كلمات لا يمكن إدراك حقيقتها إلا بمعرفة جذورها، والمناخ الذي نشأت فيه، والأحداث الأساسية التي واكبت نشأتها، خاصة إذا ما كانت هذه الكلمات ذات خلفيات وأبعاد دينية أو سياسية يراد طمس معالمها الأصلية لاستخدامها في أغراض بعينها... فهي مفردات يمكن أن نطلق عليها عبارة: "كلمات مصيرية" بمعنى أنها تتحكم في مصائر الأفراد والشعوب وتحدد مستقبلها ومصائرها»[1]

فهذه المصطلحات تعبر عن تصورات ومصالح أجنبية غريبة عن كيان الأمة الإسلامية ومصالحها [2].

والحقيقة أنه من الخطورة بمكان – بل من الخطأ الكبير– محاولة تعريف الاستشراق والحديث عن بداياته بعيدا عن بدايات ونشأة التنصير، وكذا من الخطورة الحديث عن بدايات التنصير بعيدا عن بدايات ونشأة الاستشراق، ومن الخطر الحديث عنهما بعيدا عن الغزو العسكري الصليبي الاستعماري وحملاته وحروبه واحتلاله.

وتكمن الخطورة في تصور أن كل طرف منها قام ونشأ وتطور بعيدا عن الطرف الآخر، وفي معزل عنه، وهذا التصور الخاطئ ينتج عنه– بل نتج عنه– كم من الأخطاء الفكرية الرهيبة، ظهرت في أوساط المثقفين والمفكرين وعلماء الدين.

---

(1) هدم الإسلام بالمصطلحات المستوردة، أ.د زينب عبد العزيز، ص٧، دار الكتاب العربي ط١، ٢٠٠٤م.

(2) انظر: تأصيل القيم والمفاهيم، أنور الجندي، ص٤، سلسلة على طريق الأصالة، طبعة دار البيان، ١٩٨٨م.

تتمحور هذه الخطورة في الحديث عن الاستشراق بعيدا عن هدفه الأول، ومقصده الأسمى الذي من أجله دفعت الأموال بلا حساب وأنشئت الكراسي العلمية، ومراكز الأبحاث والدراسات، وجلبت المطابع، وألفت الموسوعات والدوريات، ومن أجله حققت المخطوطات، ومن أجله – أيضا– سُرقت الإنجازات العلمية للمسلمين، ونسبت لغير أصحابها من الغربيين.

وهذا الهدف هو:

معرفة الشرق–خاصة الإسلامي– لأجل غزوه دينيا وفكريا وعسكريا والسيطرة عليه ونهب خيراته.

وتطور هذا الهدف حديثا ليصبح:

معرفة الشرق – خاصة الإسلامي– بهدف صياغة وصناعة عقول أبنائه بما يجعلهم ودولهم خدما للمصالح الغربية

هنا تكمن الخطورة والسقطة الفكرية لكثير من المثقفين والمفكرين العرب والمسلمين، حين ينظرون إلى العمل الاستشراقي على أنه مجرد عمل فكري علمي أكاديمي بحثي خالص، ويتم تناول دراساتهم بهذه الخلفية الأولية، لتكون النتيجة الفاجعة أن يقع طلاب العلم فريسة لتلك الدراسات، فيلتهمونها التهاما، فتصوغهم وتصنعهم على عينها، فيخرُجُون جيلا مشوها فكريا متشككا في دينه، مسبحا بحضارة الغرب وفكره وعلمائه، وفي مقدمتهم المستشرقين، حيث يعتقد أنهم أعطوا حياتهم كلها لأجل دراسة الشرق وتقديم الخدمات له لإخراجه من ثباته ونومه العميق، لنقله من ظلمات التخلف الشرقي إلى نور الحضارة الغربية المتلألئ!!!

هكذا يظن طالب العلم غير المحصن الذي لا يدرى ((أن الاستشراق ولد من أبوين غير شرعيين هما: الاستعمار والتبشير وأنه ما زال يعمل من أجل هذا الغرض الذي وجد من أجله))[١].

أو كما يقول محمود شاكر: «فهذه ثلاثة متعاونة متآزرة متظاهرة، وجميعهم يد واحدة، لأنهم إخوة أعيان، أبوهم واحد، وأمهم واحدة، ودينهم واحد، وأهدافهم واحدة، ووسائلهم واحدة... لا تفرق قط بين أحد منهم»[٢] وعن المستشرقين يقول: «جند المسيحية الشمالية، وبفضل المعلومات التي جمعوها عن العالم الإسلامي، والعلم الذي نقلوه إلى الغرب تمكنت طبقة الساسة من تجهيز أنفسهم لاجتياح العالم الإسلامي»[٣].

وقد فطن إلى هذه القضية الخطيرة –قضية التعريف– الكاتب والمفكر "إدوارد سعيد" ؛ ففي تعريفه للاستشراق لم ينزلق إلى مجرد القول أن الاستشراق هو دراسة علوم الشرق فقط، بل ذهب إلى النتيجة التي هي ثمرة الأهداف ونتاج التطبيق، فصار عنده الاستشراق محاولة الغرب بسط نفوذه الفكري والثقافي كما بسط نفوذه المادي، بل الأكثر من ذلك محاولته صبغ رؤيته للآخر لتصير هي النموذج، ومن ثم تصاغ الثقافة والتوجهات، ولقد ظهر هذا المفهوم عند إدوارد سعيد حتى في عنوان كتابه: "الاستشراق–المفاهيم الغربية للشرق" ومن أقواله العبقرية: الاستشراق أسلوب تفكير يقوم على التمييز الوجودي بين ما يسمى "الشرق" وبين ما يسمى– في معظم الأحيان– الغرب، ويقول: الاستشراق أسلوب غربي للهيمنة على

(١) موسوعة مقدمات العلوم والمناهج– أنور الجندي– (٥/ ١٣٦) – ط١– دار الأنصار– ١٩٨٣م. وانظر: مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم، علي بن إبراهيم النملة، ص١٤، ١٥ ، بيسان، ط٢، ٢٠١١م.

(٢) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، محمود محمد شاكر، ص٤٩، ٥٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م.

(٣) انظر: المرجع السابق: ص٤٨.

الشرق، وإعادة بنائه، والتسلط عليه... وموجز القول إن الشرق لم يكن بسبب الاستشراق مجالا لحرية الفكر أو العمل، ولا يزال الأمر كذالك... والحديث عن الاستشراق يعني الحديث أساسا عن المشروع البريطاني والفرنسي، وإن لم يكن ذلك مقصورا عليه ... وأنا اعتقد شخصيا أن القيمة الكبرى للاستشراق تكمن في كونه دليلا على السيطرة الأوربية الأمريكية على الشرق أكثر من كونه خطابا صادقا حول الشرق(وهو ما يزعمه الاستشراق في صورته الأكاديمية أو البحثية) [١]

٢- نقد مصادر المستشرقين (التأكد من النص والمعلومة والخبر)

يجب أيضا أن يتجه النقد للنص المنقول، للتأكد من صحته، إذ لا يعقل أن يُبنى نقاش على أمور واهية غير موصولة بسند أو معزوة إلى مصدر غير موثوق لا يعتمد عليه، فإذا ما ظهر المصدر واتضح النقل بدأ النقد يدور حول أمرين، الأول: هو أهلية هذا المصدر ومكانته وقدرته، وهل يعد مصدرا معتمدا في هذا الباب أم هو مصدر مضعف عند أهل العلم، لا وزن له عندهم؟ الثاني: هو سلامة النقل والاقتباس وعدم اقتطاعه واجتزائه ليؤدي غرضا في نفس المستشرق.

بهذه القراءة الناقدة، والمتتبعة لمصادر المستشرق يمكن تقييم كل ما يأتي به حتى دون الدخول في تفاصيل ما جاء به من محتوى ومضمون [٢]، وهذا الجانب يحتاج إلى تعميق دراسة، وقد أفرد له "د. النملة" جزءا من مؤلفه مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم، وأظهر صعوبة تتبع تلك المصادر نظرا لطول مدة الاستشراق، ولتعدد لغات المستشرقين، وكذا تعدد المدارس التي ينتمون إليها حسب دولهم، وأفكارهم، وكذا نظرا لاختلاف ديانات

(١) راجع مقدمة كتاب: الاستشراق- المفاهيم الغربية للشرق، إدوارد سعيد، ترجمة د. وانظر: ص٤٩، ٥٠ المرجع نفسه

(٢) يمكن استخلاص هذه الملاحظة في النقد من خلال ما كتبه المفكر أنور الجندي في موسوعته، مقدمات العلوم والمناهج، المجلد الخامس" التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة، ص١٧١ وما بعدها.

بعضـــهم وتنوع طوائفهم، وأيضـــا لاختلاف أغراض وأهداف كل مســـتشـــرق ومنطلقاته، وكذلك لكثرت التراث الاستشراقي، الذى بلغ في الفترة من ١٩٠٦- ١٩٩١ م (٧٥٠٠٠) دراســـة غير المؤتمرات والتقارير والمحاضـــرات، وفى إحصـائية أخرى لإدوارد سعيد أن هذا الإنتاج في قرن ونصف بلغ (٦٠٠٠٠) كتاب، وذكر أيضا أن من صعوبات التعرف على مصادر المستشرقين تشتت هذا الإنتاج جغرافيا بحيث صـار الوصـول إلى معظمه أمرا متعذرا، ثم بدأ "د. النملة" في ذكر أول مصدر للمستشرقين، فذكر أن المصدر الأول للمستشرقين هو من سبقهم من المستشرقين، يعنى يعتمد أغلبهم على ما كتبه من سبقهم، يرددون كلامهم، ولكن ربما ظهر خلاف في التفسـير والتحليل، ولذا لم يجد "د . النملة" بد من دراسة كبار المستشرقين الذين أخذ عنهم المستشرقون لينظر في مصـــادرهم، وخلاصـــة ما وصـــل إليه أن خللا عظيما يشـــوب مصـــادر المســـتشـــرقين [(١)]، من هذا الخلل الرجوع إلى مصـــادر غير متخصـصـــة، أو الرجوع إلى مصادر لمؤلفين موتورين متعصبين، فهي مصادر غير أمينة، أو الاعتماد على مصادر شعبية كألف ليلة وليلة، وكليلة ودمنة [(٢)]

٣- نقد التحليل والشرح والتفسير

هذا الجانب في نقد الاســـتشـــراق هو أكثر الجوانب حظا في إقبال المنافحين والمدافعين عن الإســـلام على ســـلوكه والإدلاء فيه بدلوهم، وهو الجانب الذي كثرت فيه الرسـائل العلمية الجامعية لرد شـبهات المسـتشـرقين حول الإسـلام وقضـاياه وأركانه وتاريخه وزعمائه وحضـارته، ولو تم جمع ما دون فيه لصـار بين أيدينا موسـوعات ضـخمة، في حاجة إلى من يقوم على ترجمتها ونشـرها، أو تلخيصها وترجمتها ونشرها.

---

(١) راجع: مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم، د.علي بن إبراهيم الحمد النملة، ص٨٤-١٠٩.
(٢) انظر: الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي، د. أحمد عبد الرحيم السايح، ص٦٩.

وقامت مؤسسات بعمل موسوعات لنقد تحليل وشرح ورؤية المستشرقين، فعلى سبيل المثال تلك الموسوعة التي قام عليها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر، بعنوان: "حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين" وجاءت في حوالي سبعمائة صفحة تقريبا، اشترك فيها كوكبة من مفكري مصر ودعاتها، من أهل التخصص، وتم الرد على مائة وسبعة وأربعين شبهة من شبه المشككين التي يرددها المستشرقون وأتباعهم والمتأثرون بهم [١].

٤- نقد مناهج المستشرقين

هذا الجانب من الأهمية بمكان، لأنه يفضح الاستشراق من جذوره التي يتشدق ويتباهى بها، وهو ادعاء المنهجية في البحث، والموضوعية، والحيادية، ويردد تلامذتهم هذا الادعاء.

«فنقد المنهج هو خطوة حاسمة وضرورية، قبل البدء في نقد ما جاء به من أخطاء وافتراءات» [٢]

والحقيقة أن المستشرقين – في أغلبهم- يعادون المنهج العلمي فعليا في تناول الإسلام، يقول د عبد العظيم الديب: «أما المنهج العلمي الصحيح، والتجرد للبحث وخدمة الحقيقة، فما زال –وسيظل- الاستشراق بعيدا عنها، لأسباب كثيرة» [٣] يصف محمد أسد – "ليوبولد فايس" سابقا- وقد كان مستشرقا قبل إسلامه، يصور حال المنهجية البحثية في عقلية المستشرقين بشكل عام عند دراستهم للإسلام فيقول: «الإسلام متهم دوما عندهم يقف أمام قضاته،

---

(١) راجع: حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، إشراف: أ.د محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط٣، ٢٠٠٥م.

(٢) الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي، د. أحمد عبد الرحيم السايح، ص٦٧، الدار المصرية اللبنانية، ط١، ١٩٩٦م

(٣) المنهج عند المستشرقين، د. عبد العظيم الديب، ص٣٤٣.

وبعض المستشرقين يمثلون دور المدعى العام الذي يحاول إثبات الجريمة، وبعضهم يقوم مقام المحامي في الدفاع، فهو مع اقتناعه شخصيا بإجرام موكله، لا يستطيع أكثر من أن يطلب له مع شيء من الفتور اعتبار الأسباب المخففة» [١].

وباستقراء العلماء لما كتبه المستشرقون، وتدقيق النظر فيه، ظهرت المناهج الفاسدة التي انتهجها المستشرقون في أبحاثهم، والتى منها:

- الخضوع للأهواء وعدم التجرد للبحث (المنهج المعكوس، وهو تصور ما يراه ثم التدليل عليه بطرق ملتوية وفاسدة)
- تحريف المصادر (عمدا أو عجزا لإثبات قضية غير مثبتة)
- التعسف في التفسير والاستنتاج (استنطاق النص بما لم يقله أم يفهم منه)
- التفسير بالإسقاط (إسقاط الواقع المعاصر على الوقائع التاريخية)
- منهج العكس (فالصواب عكس ما تشير إليه النصوص!!) [٢]

ومنها أيضا:

- إجراء المقارنات الوهمية
- الكذب الصريح
- التشكيك
- السخرية والاستهزاء [٣]

---

(١) انظر: المنهج عند المستشرقين، د. عبد العظيم الديب، ص٣٤٤، وانظر: الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، (ليوبولد فايس) ترجمة د. عمر فروخ، ص٥٣، دار العلم للملايين، ١٩٨٤م.
(٢) راجع: المنهج عند المستشرقين، د عبد العظيم الديب، ص٣٥١- ٣٧١.
(٣) انظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، ص٢٣٧

وقد برز علماء كثر نوهوا بهذا الأمر في أثناء كتبهم عن الاستشراق، أو الغزو الفكري، أو التبشير، أو التغريب، فعلى سبيل المثال يقول أنور الجندي: «من أبرز أخطاء الاستشراق تزييف النصوص...لإثبات الافتراضات التي قدروها مثلما فعل المستشرق الأشهر "هاملتون جب" ...ومن أعمال المستشرقين التزوير مثلما قام أحد المستشرقين الفرنسيين سنة ١٨٥٠م بتزوير وثيقة إسلامية هامة جدا، وهي كتاب النبي – صلى الله عليه وسلم– إلى المقوقس، وظلت الوثيقة بهذا التزوير لعشرات الأحقاب من السنين دون أن تكتشف... ومن أخطائهم فهم النصوص على غير حقيقتها، وهم يعملون على استقطاع النصوص، وقلب المحاسن إلى سيئات، والتشكيك في أي خبر إيجابي » [١].

يقول محمد أسد: إن تحامل المستشرقين على الإسلام غريزة موروثة وخاصية طبيعية تقوم على المؤثرات التي خلفتها الحروب الصليبية، بكل ما لها من ذيول في عقول الأوربيين الأولين، حتى بعد أن خبا الشعور الديني في أوروبا فالعداء للإسلام استمر، وأصبح احتقار الإسلام جزءا أساسيا من التفكير الأوروبي [٢].

ويؤكد "محمود شاكر" تعذر وجود منهجية عند المستشرقين، والسبب يرجع–في رأيه– لنشأة الاستشراق، ووظيفته، وأهدافه التي ليس منها طلب العلم للتعلم والوصول للحق ومعرفة الصواب. ومع غياب هذا الهدف وسيطرة هدف النشأة والوظيفة، صار الاستشراق خادما للصليبية القديمة والحديثة، وهذا القصد

---

(١) موسوعة مقدمات العلوم والمناهج، أنور الجندي، المجلد الخامس" التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة" ص١٤٤– ١٤٨.

(٢) انظر: الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، ص٦٠، ٦١.

المتعمد وحده آفة خبيثة كافية وحدها في إسـقاط عمل الاسـتشـراق كله إلى حضيض الفساد والإفساد، ويبعده كل البعد عن المنهجية العلمية [١].

٥- نقد عقلية المستشرقين ومدى تمكنهم العلمي.

يتطلب هذا النقد قراءة واسعة واطلاع على جل ما أنتجه المستشرقون في لغات مختلفة، ليتثنى بعد ذلك الحكم على المستشرقين وكيفية تفكيرهم بناء على ما كتبته أيديهم وسطرته أقلامهم، وهذا جانب من النقد في غاية الأهمية، فما أكثر المستشرقين أو من يطلق عليهم مستشرقون، لكن الفرز العلمي لا شك سيؤدي إلى تقليص هذه الأرقام الكبيرة، ولو تتبعنا هؤلاء المستشرقين وأظهرنا فئاتهم وميزانهم العلمي سيتضح للقارئ المسلم الأمر ويستبين، ويتم التعرف على أول من قال ومن أخذ منه....إلخ

كمثال على هذا النقد ما ذكره الدكتور "عبد الرحمن بدوى"(١٩١٧-٢٠٠٢م)[٢] في كتابه دفاعا عن القرآن ضد منتقديه: يقول: «تصدينا في كتابنا هذا لفضح هذه الجرأة الجهولة الحمقاء عند هؤلاء المستشرقين حول القرآن، ونبدأ بتسجيل بعض الملاحظات العامة: ١- إن معرفة هؤلاء المستشرقين للغة العربية من الناحية الأدبية أو الفنية يشوبها الضعف، ويمكن

---

(١) انظر: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، محمود شاكر، ص٦٤.

(٢) صاحب كتاب موسوعة المستشرقين" الشهيرة، من مواليد دمياط، التحق بكلية الآداب جامعة فؤاد الأول وتتلمذ على أيدى بعض المستشرقين فيها في قسم الفلسفة، في عام ١٩٣٧ سافر للدراسة في جامعة ميونخ، وعين فيما بعد محاضرا في كلية الآداب في قسم الفلسفة وكان تلميذا وزميلا لبعض المستشرقين، عمل في العديد من الجامعات في مصر والدول العربية وفرنسا، أجاد عدة لغات منها العربية، والفرنسية، والإنجليزية، والإيطالية، واستقر به المقام في النهاية في فرنسا، وختم حياته بدفاعه عن الإسلام ضد أكاذيب المستشرقين بكتابه الذى نستشهد ببعض ما جاء فيه "دفاعا عن القرآن ضد منتقديه" . انظر باختصار كبير: مقدمة د محمد عمارة لهذا الكتاب في إطار عرضه لملحق لمجلة الأزهر شهر رجب ١٤٣٦هـ

القول إن هذه الملاحظة تخصـــهم جميعا تقريبا [١] ٢- إن معلوماتهم جميعا المستقاة من مصادر عربية جزئية ناقصة وضحلة وغير كافية، وهم يرمون بأنفســهم في مغامرة طرح فرضـيات خطيرة وخاطئة يعتقدون أنهم أول من توصل إليها دون تكليف أنفسهم عناء التقصي لدى تلك المصادر عن نفس المعضلات التي يثيرونها ٣- لقد ذهب بعض السطحيين إلى الإعلان بأعلى صوته أن في القرآن انتحال وتقليد وسرقة، معتمدين على تشابه لا أساس له، وهذا ما قام به مستشرقون من أمثال "جولد تسهير شفالى"، ومرجليوث»[٢]

ويرى "محمود شاكر" أن أغلب المستشرقين بسبب اللغة، والثقافة، وطريقة التعليم، ومدته، ومكان تواجده ومعيشـته، لا يمكن بحال أن يسـمح لهم ذلك بالتصدي للكتابة عن تاريخ الإسلام، أو شريعته أو فقهه أو نحوه وصرفه، أو حضـارته، فضـلا أن يكون لهذه الكتابات أي مصـداقية علمية تجعلها مرجعا للدارس الغربي إن أراد العلم، ناهيك أن تكون مصـدرا للمسلم أو لطلاب العلم في بلاد الإسلام، بل غاية ما يمكن أن يصل إليه بعد عشرين عاما بين أهله أن يكون في مسـتوى طالب علم عربي في الرابعة عشـرة من عمره، فهو من طبقة العوام الذين لا يعتد بأقوالهم في مجال المنهج والبحث[٣]، هل يمكن أن نجد دراسات أكثر حول هذه القضية الخطيرة؟، فهي كقضية المنهج مؤثرة في الموقف العام والتقييم العام.

---

(١) لاحظ هذا التعميم في وصفه هؤلاء المستشرقين بالحمقى والجهلاء، وفى ضعف فهمهم للغة العربية، ولا يمكن اتهام د عبد الرحمن بدوي بالتحامل على المستشرقين، فهو ربيبهم وتلميذهم، والذى سطر عشرات الأبحاث عنهم، ولا يخفى عليه وجود بعض المنصفين، لكنه الوعي بالقضية، وقد تأخر عنده لعشرات السنين، لكنه استفاق بقوة، وهذا أبلغ رد على من يبالغون في المدح والثناء.

(٢) دفاعا عن القرآن ضد منتقديه- د عبد الرحمن بدوي، ص٥٢، ٥٣ . وانظر: المنهج عند المستشرقين، د عبد العظيم الديب، ص٣٥٢

(٣) انظر: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، محمود شاكر، ٦٦، ٦٧.

٦- نقد الأهداف والمنطلقات

المنطلق لفهم أهداف المستشرقين هو معرفة لمن كتب المستشرقون؟ لمن بحثوا؟ لمن دونوا؟ لمن فهرسوا؟ لمن حققوا؟ وأيضا بمعرفة من مول؟ ومن كان يرعى؟ ومن ساعد وأنشأ المؤسسات؟ ومن قدم الحماية؟ ومن روج لتلك الدراسات؟ وساعد على نشرها؟ ثم بمعرفة من المستفيد الأكبر؟ ومن الرابح؟

يقول د عبد العظيم الديب تحت عنوان: لمن كتب المستشرقون؟

«لم نكن بحاجة إلى هذا العناء، وتناول هذا الموضوع- موضوع المستشرقين وأعمال المستشرقين- أصلا، لو أن بني قومنا عرفوا لمن يكتب المستشرقون، لو أن المثقف المسلم، وصاحب القلم المسلم، ورجل الفكر المسلم، عرفوا لمن يكتب المستشرقون، لو وقفوا من هذه الأعمال الاستشراقية الموقف الصحيح، فتركوها لمن كتبت له» (١).

هي في الأساس كتبت للإنسان المسيحي الغربي -كما أشار د عبد العظيم- وأدت دورها جيدا في إضلاله وتزييف وعيه عن الإسلام، ثم وجدوا أن تلك الدراسات تصلح لتكون عالمية للمسلمين وغيرهم، فكما نجحت في الغرب ستنجح في الشرق، وهذا ما حدث بشكل ما، وأمسى الفكر العربي في موقف الدفاع دوما، وشغل عن النشر وأصبح همه صد الحملات ونفي الشبهات وإثبات البراءة من الاتهامات.

بعد إدراك هذا المنطلق وتلك القاعدة فأهداف المستشرقين متعددة، وتختلف من مستشرق لآخر أو مدرسة استشراقية لأخرى، أو من دولة لأخرى، فمنها أهداف

(١) المنهج عند المستشرقين، د عبد العظيم الديب، ص٣٤٥ .

دينية [١] أو سياسية أو نفسية، لكنها تصب في النهاية في الإطار العام المعادي للإسلام، يقول د عبد الرحمن بدوي: «إن ما يحرك بعض المستشرقين دافع الضغينة، والحقد على الإسلام، مما يفقدهم الموضوعية ويعمي بصيرتهم بطريقة أو بأخرى وهذا ينطبق خاصة على "هيرشفيلد"، و"هوروفيتز"، و"سبير"، ولقد كان بعضا من هؤلاء المستشرقين مدفوعا بالتبشير والتعصب المتحفز، مثلما هو الأمر بالنسبة للمستشرق "وليم موير" و"زويمر"» [٢]

«ذلك التآمر المدروس والتواصل المستمر من هؤلاء المستشرقين كابرا عن كابر من أجل الوصول إلى غرض واحد هو تشويه الإسلام والمسلمين والطعن

(١) عند الحديث عن الأهداف الدينية التي ذكرها عدد كبير ممن يكتبون عن الاستشراق ، يجب أن ننتبه إلى أمر خطير ومهم، قد لا ينتبه إليه البعض، وهو ما يتعلق بالهدف الديني وكيف ظهر في عالم الاستشراق، والحقيقة أنه ليس وليد رغبة دينية عند المستشرقين، لكنها رغبة دينية عند المبشرين الذين عملوا مستشرقين، وذلك أن فئة كبيرة من المبشرين عملوا في مجال الاستشراق، فألفوا الكتب عن الإسلام واللغة والشريعة والحضارة الإسلامية، لكنهم لم ينسوا مهنتهم الأساسية المتعلقة بنشر النصرانية في العالم، وكتابات هؤلاء هي من أكثر الكتب إجحافا وتضليلا للشعوب، لأنها محملة بالتعصب الديني، كما كانت كتابات المستشرقين الآخرين محملة بالتعصب العرقي والقومي، وفى كتابيهما "التبشير والاستعمار في البلاد العربية" الذى ألف عام ١٩٥٣ ، يتحدث كل من: د عمر فروخ، ود مصطفى خالدي عن المبشرين حديثا يشبه حديث غيرهم عن المستشرقين، من حيث الأهداف والآثار والأعمال، وذلك التشابه ناتج عن هذا التداخل الكبير بين أعمال المستشرقين المبشرين أو المبشرين المستشرقين في مجالي التبشير والاستشراق، ويمكن ملاحظة هذا في توطئة كتابيهما، وأضافا أيضا ملا حظة مهمة، وهي أن نفرا قليلا من المبشرين هم من عملوا لأجل التبشير، وهؤلاء -أيضا- وضعوا أنفسهم تحت أيدي رجال السياسة والاقتصاد، فأين إذا يمكن العثور على من يعملون من منطلق ديني خالص!! راجع: التبشير والاستعمار في البلاد العربية، ص ٢١- ٢٤، منشورات الكتب العصرية، ١٩٨٦م

(٢) دفاعا عن القرآن ضد منتقديه، عبد الرحمن بدوي، ص٥٣، وانظر الاستعمار أحقاد وأطماع، محمد الغزالي، ٢٥٢. ومحاضرات في مفهوم الاستشراق والتبشير، محمد زين العابدين محمد الطشو، ٩، ١٠، ٢٠- ٢٤.

برسول الله وأحاديثه وسيرته وصحابته، ومن أجل محو الصورة المشرقة للإسلام في نفوس أبنائهم أولا، وفي نفوس المسلمين ثانيا، ليتسنى لهم عرض بضاعتهم من الحضارة الغربية بما فيها من بهتان وباطل وعري وشهوات وخمور وخروج عن قانون الله»[١].

لقد تطورت الأهداف مع التطور السياسي والمصالح الغربية، والاستشراق في أساسه حركة سياسية لبست ثوب العلم أو الدين، والدين في الغرب في وقت نشأة الاستشراق كان يعنى السياسة أيضا، فالكنيسة كانت هي الحاكمة، ومن ثم لا يمكن إلا أن يقال إن كل الأهداف تصب في النهاية في خانة الاستغلال السياسي، وهي منفعة متبادلة خاصة في زمن الاحتلال «فالمعرفة بالأجناس المحكومة أو بالشرقيين هي التي تجعل إدارة شئون حياتهم يسيرة ومربحة، فالمعرفة تأتي بالسلطة، وزيادة السلطة تتطلب زيادة المعرفة، وهكذا دواليك في جدلية من المعلومات والتحكم تزداد فائدتها باضطراب»[٢] .

ومع كثرة المنافع والربح وتراكم الثروات، زادت أبحاث وكتب وتقارير المستشرقين إذ «تقدر الأبحاث والكتب التى كتبها المستشرقون عن الإسلام في الفترة من مطلع القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين بنحو(٦٠٠٠٠) ستين ألف كتاب!! فلم كل هذا الاهتمام؟؟ لم كل هذا العناء؟؟... إن الاستشراق يرمى من وراء ذلك إلى غايتين: أولاهما: حماية الإنسان الغربي من أن يرى نور الإسلام، فيؤمن به، ويحمل رايته ويجاهد في سبيله كما كان من المسيحيين في الشام ومصر.... والغاية الثانية للاستشراق: هي معرفة الشرق ودراسته أرضه ومياهه وطقسه وجباله وأنهاره، وزروعه

---

(١) الغزو الفكري والرد على افتراءات المستشرقين، محمد علوه، ص٤،٥، وانظر: المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي، إبراهيم خليل أحمد، ص٢٦، مكتبة الوعي العربي، ١٩٦٤م.
(٢) الاستشراق– المفهوم الغربي للشرق، إدوارد سعيد، ص٩١.

وثماره، وأهله ورجاله، وعلمه وعلمائه ودينه وعقائده، وعاداته وتقاليده، ولغاته....كل ذلك لكي يعرف كيف يصل إليه... حتى يضمن للزحف الصليبي الجديد أن يسير على هدى وبصيرة...يقول المستشرق الأمريكي "روبرت بين": إن لدينا أسبابا قوية لدراسة العرب، والتعرف على طريقتهم، فقد غزو الدنيا كلها من قبل، وقد يفعلونها مرة ثانية»[1]

٧- نقد الآثار والنتائج

يقول "د. عبد الرحمن بدوي" في إطار رده على المستشرقين المتجنيين على القرآن «وهدفنا كشف القناع عن العلماء المزعومين الذين قدموا الضلال والخداع لشعب أوروبا ولغيره من الشعوب الأخرى»[2].

هذا هو الأثر الأكبر لحملات الاستشراق ومدارسه ومؤلفاته وتحقيقاته ودراساته، إضلال وخداع للشعوب التي ينتمون إليها، وللأمم الأخرى، وكانوا سببا عظيما في إفساد الثقافة العالمية، وتشويه صورة دين من أعظم الأديان في الأرض.

ونقد الاستشراق لابد أن يركز على هذا الجانب، ويظهره ويجليه، ليدرك العالم مدى الخراب الذي تسبب فيه هؤلاء المستشرقون، فقد كانت كتاباتهم سببا في موجات من الكراهية المتبادلة بين الغرب والشرق، وكانت سببا في تخلف شعوب، وكانت سببا في ضياع هويات، وكانت سببا في منع الخير عن مئات الملايين من النصارى وغيرهم حين حرمتهم من التعرف على الإسلام بصورته البيضاء النقية.

---

(١) المنهج عند المستشرقين، د عبد العظيم الديب، ص٣٣٨- ٣٤٠. وانظر: الاستشراق–المفاهيم الغربية للشرق، إدوارد سعيد، ص٩٠، ٩١، والاستعمار أحقاد وأطماع، محمد الغزالي، ٢٥١، ٢٥٢، ومصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم، علي بن إبراهيم الحمد النملة، ص١٣.

(٢) دفاعا عن القرآن ضد منتقديه، عبد الرحمن بدوي، ص٥٤ .

ورصد هذه الآثار الضارة في جوانب الاعتقاد والأخلاق والشرائع والقوانين مهمة يجب العمل على تدوينها وتتبعها منذ مئات السنيين، وتحديد هذه الآثار بالنسبة للمسلمين وبالنسبة لغير المسلمين.

ويجب الاعتناء بهذا الجانب وتركيز الأبحاث عليه، لأن من شأنه أن يظهر ويكشف جرم ما اقترفته أيدي المستشرقين على العالم، حين تحدثت باسم العلم، وكانت سببا في إفساد وتخريب هذا العلم.

وكمثال رائع لدراسة من هذا النوع كتاب: "أثر الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية" د محمد خليفة حسن أحمد (١) فبمجرد عرض فصوله الرئيسة يتبين مدى الجهد المبذول في هذا الكتاب، وهي:

١- الأثار السلبية للفكر الاستشراقي في المجال الديني
٢- الآثار السياسية للفكر الاستشراقي في المجتمع الإسلامي
٣- الآثار الاجتماعية للفكر الاستشراقي في المجتمع الإسلامي
٤- آثار الفكر الاستشراقي في المجال الاقتصادي
٥- الآثار السلبية للفكر الاستشراقي في المجال الثقافي والفكري
٦- الآثار السلبية للفكر الاستشراقي في المجال العلمي
٧- الآثار الفكرية الإيجابية للاستشراق.
٨- ثم كانت الخاتمة عن: سبل مواجهة آثار الفكر الاستشراقي (٢)

والمقدمة التي أوردها في بداية كتابة نموذج حقيقي للفكر الناضج الواعي المدرك للصورة بشكل كامل، يقول فيها: «يمثل الفكر الاستشراقي في معظمه حركة فكرية غربية مضادة للإسلام والمسلمين، وقد ترك هذا الفكر آثارا سلبية

(١) أستاذ تاريخ الأديان، كلية الآداب جامعة القاهرة.
(٢) انظر: فهرس الكتاب ص٥-٨ ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ط١، ١٩٩٧م.

كثيرة في الفكر الإسلامي تظهر بصماتها واضحة في المجتمعات الإسلامية وفي أنشطتها المختلفة، ويعتبر الاستشراق مسئولا مسئولية مباشرة عن عملية الغزو الفكري المتواصل للثقافة الإسلامية، إذ لا يكاد يخلو مجال من مجالات الحياة الإسلامية من أثر للفكر الاستشراقي، وعن طريق الاستشراق يحاول الغرب المحافظة على مكاسبه الثقافية التي جناها في مرحلة الاستعمار، وتوسيع دائرة نفوذه الثقافي، وتوجيه الحياة الشرقية العامة، والإسلامية خاصة وجهة غربية، وعلى الرغم من وجود بعض الإيجابيات للفكر الاستشراقي فإن حجم الآثار السلبية وعمق هذه الآثار في المجتمع الإسلامي[والعالمي أيضا] لا يمكن مقارنته بالفائدة التي تحققت من خلال الآثار الإيجابية، فالاستشراق أهدافه غربية خالصة، ونتائجه بالنسبة للمجتمع الإسلامي نتائج خطيرة تسعى إلى محو الصفة الإسلامية وطبع المجتمع الإسلامي بطابع الثقافة الغربية» (١).

تلك المقدمة التي يحسن أن تكون قائدا لذوي النهى في التعامل مع ميراث الاستشراق، وهذا الميزان هو عين العدل والإنصاف والأمانة في العرض، فالإيجابيات من نتاج المستشرقين يمكن الوصول إليها من خلال عملية تقطير هذا النتاج كما يقطر ماء البحر للوصول إلى لترات من الماء المحلى الذي قد يصلح للاستخدام الآدمي، ومن ثم لا يصح وصف ماء البحر الذي يمكن تحلية بعضه بما يُوهم أنه نهر عذب فرات لكن يعيبه ذلك الطمي الذي يعكر صفوه أحيانا، فليس البحر نهرا، وليس النهر بحرا.

ومن الدراسات التي فيها ابتكار وإبداع في هذا الشأن، تلك الدراسة التي قدمها المفكر "مالك بن نبي"، في مؤلفه: "إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث" حيث بدأ بملاحظة غاية في الوعي، فقد تماشى مع قول أن

(١) أثر الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية" د محمد خليفة حسن أحمد– ص٩

للاستشراق جانبا مشرقا، نهضويا، إيجابيا. لكنه بدأ يلفت الأنظار إلى الجهة التي استفادت بهذا الجانب المشرق النهضوي الإيجابي، فيقول بالنص: «إنه لمن الواضح أن المستشرقين القدماء أثروا وربما لا يزالون يؤثرون على مجرى الأفكار في العالم الغربي، دون أيما تأثير على أفكارنا، نحن معشر المسلمين [١] إن ما كتبوا كان قطعا المحور الذي تحركت حوله الأفكار التي نشأت عنها حركة النهضة في أوروبا، بينما لا نرى لهم أي أثر فيما نسميه النهضة الإسلامية اليوم» [٢].

ثم تطرق "مالك بن نبي" بذكاء وهاج إلى طائفة المستشرقين المادحين للتراث الفكري الإسلامي، ورصد الأثر من الناحية الاجتماعية، فقال: إن هؤلاء كان لهم الفضل في المساعدة على مواجهة مركب النقص الذي اعترى الضمير الإسلامي أمام ظاهرة الحضارة الغربية، ثم أصبح هذا الأثر الذي يبدو محمودا إلى أثر مرضي؛ فكما لجأ ضعاف النفوس إلى الاستشراق المتعصب لمواجهة مركب النقص عندهم، لجأ المعتزون بإسلامهم إلى الاستشراق المتسامح المادح، حيث أخذ يبحث عن حقنة اعتزاز كما يبحث المدمن عن حقنة المخدر التي يستطيع بها مؤقتا إشباع حاجته المرضية، ورغم أنها قد تساعد في اعتزاز المسلم الغيور بذاتيته وإسلامه، فأثرها العام مع الوقت ضرره أكثر من نفعه، وذلك بعد تجربة المؤلف أربعين سنة لهذا العلاج المؤقت، لأنها تسببت في قاعدة كبيرة تعتمد على الآخر وتتسول منه حتى كلمة في صالحه، فزاد مركب النقص مع الوقت عند ضعفاء النفوس، وعند أهل العزة على السواء، ومع

---

(١) يتحدث هنا عن التأثير الإيجابي الذي يؤدي إلى نهضة وتطور وقوة، فالتأثير السلبي موجود ومرصود وقد ذكره في كتابه "الصراع الفكري في البلاد المستعمرة"، وذكره أيضا في هذا الكتاب محل الاستشهاد.

(٢) إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مالك بن نبي، ص٦، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٦٩م.

الوقت يتم دس مادحين وناصــحين ومحبين يكون دورهم هو عكس ما يقوم به المحب والناصـح، لكن لابد من جعل ما يُكره محبوبا، وجعل ما يُحب مكروها، ومن ثم يتحول مصدر الفخر إلى سبيل إفساد، والغرب لديه أهل الاختصاص الذين يستطيع بهم توجيه الجماهير وقيادتهم، فتنشغل الأمة مرة بمن ذم، وتلهوا أحيانا مع من مدح، دون أن تتقدم الأمة بفكرها وحلها وقولها وتفرضــــه على الغازي الخبيث، لذا يجب علينا أن نصنع أفكارنا الخاصة [١].

ويجب ألا يتوقف نقد الآثار على نقد آثار الاستشراق كفكر، بل يجب نقد آثار الدول الراعية للاستشراق والمستشرقين في العالم، فكما كان أثر الاستشراق– في معظمه – ضــار ومضــر، كانت آثار الدول الاســتعمارية في البلاد التي غزتها ماديا وفكريا مهلكا ومتخلفا، «فتاريخ العالم لا يعرف في ســجله الطويل أســوأ من مدنية الغرب في معاملة الآخرين، وتجاهل مصــالحهم، ومصـــادرة حقوقهم، بل إنه لا يعرف أســوأ من هذه المدنية في إراقة الدماء بغزارة، والتهام الحرمات بنهم، وتجســيم الأثرة الباغية تجســيما يحجب كل ما وراءه من خير وعدل، لا، بل إن هذه المدنية تتميز ببراعتها الفائقة في فرض إثمها على أنه شرف، وإبراز شهواتها وكأنها قوانين نزيهة»[٢].

بهذا تنكشف الصــورة أكثر، فلا يمكن لحضـارة دموية أن تقدم الخير للعالم في صورة فكرية، والواقع يشهد أيضا بذلك؛ الواقع القريب والواقع البعيد.

ويشــمل نقد الآثار أيضـــا نقد آثار الاســـتشـــراق على المجتمعات الغربية في نظرتهم للمسلمين والإسلام، والتي استمر أثرها–فاعجب– حتى اليوم ونحن في زمن الســماوات المفتوحة، والتواصــل غير المسـبوق، وســهولة الوصــول إلى المعلومة، فالخلفية الفكرية والثقافية في الغرب تكاد تكون هي هي كما كانت

---

(١) راجع: إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مالك بن نبي، ص٨– ٢٤، ٤٧- ٤٩

(٢) الاستعمار أحقاد وأطماع، محمد الغزالي، ص٤٨، مؤسسة الخانجي بمصر، ١٩٥٧م

في العصور الوسطى، حتى في أرقى دول العالم في أمريكا، يقول "بول فندلى" : «إن انتشـــار الأفكار النمطية المزيفة عن الإســـلام في أمريكا أوســـع من انتشـارها في أي مكان آخر من العالم، وبعض هذه الأفكار تتغذى من الجهل، ولكنها كلها تخصـــب بجرعات مركزة من الحقد»[1] هذا في زماننا وفي أكثر البلاد تحضرا، فكيف بغيرها؟

٨- نقد وسائل الاستشراق

وسائل الاستشراق -في الغالب- هي الأشكال والآليات المادية التي استخدمها المسـتشـرقون للوصـول إلى العالم الإسـلامي، لجمع المعلومات عنه ثم بَثِّهاَ، وهي متنوعة وكثيرة، ونقدها لا يعني هدمها لكن يعنى كشفها وكشف كيفيتها وبيان مناهجها وأســـاليبها، وبيان أثر من تخرجوا منها، ثم العمل على تحويل مسارها-إن كان في الاستطاعة- بما يخدم الأمة ويمنع الأذى الذي تراكم عبر السنين.

من هذه الوسائل:

١-البعثات: كانت البعثات الأوربية إلى بلاد المســـلمين هي الخطوة العملية الأولى[2] في ســـبيل بناء مجموعات عمل لجمع المعلومات عن العالم الإســـلامي، معلومات دينية، لغوية، اقتصـــادية، اجتماعية، علمية، ثقافية، مهارية....الخ

---

(١) لا سكوت بعد اليوم- مواجهة الصور المزيفة عن الإسلام في أمريكا، بول فندلى، ص١٢، مكتبة العبيكان، ط٢، ٢٠٠١م

(٢) الغزو الفكري والرد على افتراءات المستشرقين، محمد عللوة، ص٤

كان هؤلاء طليعة الجيش، وكتائب استطلاعه، وهذا هو الوصف الأمثل –في ظني– لها لأنها لو كانت لأجل العلم فقط وفي سبيله لأمست أوروبا غير ما هي عليه اليوم، دينيا وأخلاقيا وعقائديا.

ونقد هذه الوسيلة يكشف عن طرق ومنهجية تلك البعثات، ولماذا لم تؤثر في أوروبا إيجابيا نحو الإسلام، ومقارنتها ببعثات المسلمين إلى بلاد أوروبا وكيف كان عملها ودورها وأثرها في بلاد المسلمين، وهذا الكشف ينير الطريق لرؤية أشد وضوحا لمسارنا العملي، يمكننا أن نقيم أنفسنا في هذا الجانب، بعد نزع الضبابية حول تلك المسألة، خاصة وأن كثيرا ممن يدافعون عن الاستشراق ويرون أنه حركة علمية، يستشهدون بهذا البعثات خاصة في بلاد الأندلس.

٢–المدارس والجامعات ومناهجها وأساتذتها: يقصد هنا أمران؛ مدارس وجامعات الاستشراق في بلادهم، و المدارس والجامعات التي تبث أفكار المستشرقين في بلاد المسلمين، والنقد يتطلب دراسة تاريخ إنشاء تلك المدارس والجامعات، وكيف كانت تدار، وكيف قامت بدورها في نشر الفكر الاستشراقي، فهذا من شأنه حماية أعداد كبيرة من أبناء المسلمين ممن يتعلمون في هذه المؤسسات أو يرغبون في ذلك.

ويجب أن يشمل النقد أيضا المستشرقين وتلامذتهم الذين قدموا هذا الفكر في الجامعات في داخل البلاد الإسلامية وخارجها، «فقد تم استخدام تلاميذ المستشرقين والمبشرين ... من الوطنيين الذين درسوا بجامعاتهم وتشربوا بمبادئهم، وهؤلاء – وقد أصبحوا قادة الفكر – إنما ينفذون سياسة المستعمر، بقصد أو بغير قصد منهم»(١).

(١) المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي، إبراهيم خليل أحمد، ص٨٠ .

ولابد -أيضـا- من تتبع إنتاجهم العلمي حتى النهاية، فقد تجد في نهايتهم ما يقصـف بالبدايات ويعصـف بها ويجتثها من جذورها، لأنه كان قبلا مغرورا بنتاج المستشـرقين وثقافتهم لكنه في النهاية أدرك الحقيقة وأدرك الفارق بين عطاء الإسلام وعلماء الإسلام مقارنة بما كتبه المستشرقون.

وكمثال على هذا الدكتور "عبد الرحمن بدوى" فبعد ترك طريق المستشـرقين وعاد إلى حظيرة الفكر الإسـلامي الأصـيل كتب "دفاعا عن القرآن"، و"دفاعا عن محمد – صـلى الله عليه وسـلم-"، وهو يتحدث عن هذا التحول فيقول: «لا أسـتطيع أن أعبر عما بداخلي من إحسـاس الندم الشـديد، لأنني عاديت الإسلام والتراث العربي لأكثر من نصف قرن، أشعر الآن أنني بحاجة إلى من يغسلني بالماء الصافي الرقراق، لكي أعود من جديد مسلما حقا....وها أنا أتبرأ من كتاباتي السـابقة عن الوجودية، والزمن الوجودي، وأتبرأ من وصـفي برائد الوجودية في العالم العربي...إنني قرأت الآداب والفلسـفات الغربية في لغاتها الأم، مثل الإنجليزية والفرنسية واللاتينية والألمانية والإيطالية وأستطيع أن أقول إن العقل الأوروبي لم ينتج شـيئا يسـتحق الإشـادة والحفاوة مثلما فعل العقل العربي!! وتبين لي -في النهاية- الغي من الرشاد، والحق من الضلال»(١).

يُعد "د.عبد الرحمن بدوي" ربيب المستشرقين في مصر وخارجها، فهو الرجل الذي اعتنق أفكارهم لنصف قرن، وكتب بكل لغات الغرب الكبرى، وهاجم الفكر الإسلامي بما قال به أساتذته، وكتب موسوعته عن المستشرقين ليخلد ذكراهم، وبعد هذا التطواف الرهيب، وهذه التلمذة على المستشرقين بما يتفوق به على غيره من تلامذة المستشرقين، لكنه في النهاية يدرك الحقيقة فيتحول مدافعا بقوة عن الفكر الإسلامي داحضا أفكار المستشرقين، وهذا الحال يذكرنا

(١) دفاعا عن القرآن ضد منتقديه، د عبد الرحمن بدوي، ص١٤- ١ ٩. بتصرف يسير

بالإمام أبي الحسن الأشعري [١] – رحمه الله–(٢٦٠- ٣٢٤ هـ) وقد عاش بين المعتزلة إماما ومفكرا، ثم بعد سنوات طوال يدرك الخلل فيقوم منافحا عن فكر أهل السنة رادا على المعتزلة وأفكارها الشاذة .

٣–دور النشر والمطبوعات والصحف والمجلات والمكتبات والموسوعات: وهذه هي منافذ الاستشراق إلى العالم، وهي كثيرة جدا ومنتشرة بشكل واسع، ونقدها بكشف تاريخ إنشائها، والدول التابعة لها، وأهم المطبوعات والموسوعات والمجلات والصحف التي تحمل هذا الفكر وتروج له [٢]، كل ذلك يساعد في عملية حماية أبناء الأمة، وحفظ الدين، فلو تم تتبع دار نشر واحدة، ومعرفة المطبوعات التي خرجت منها يمكن بكل سهولة تقييم هذه الأخطار.

---

(١) هو: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله، صلى الله عليه وسلم؛ هو صاحب الأصول والقائم بنصرة مذهب السنة، المتكلم صاحب الكتب، والتصانيف فِي الرد على الملحدة، وغيرهم من المعتزلة، والرافضة، والجهمية، والخوارج، وسائر أصناف المبتدعة، وهو بصري سكن بَغْدَاد إِلَى أن توفي بها». انظر: وفيات الأعيان–ابن خلكان (٣ / ٢٨٤) دار صادر، بيروت، تاريخ بغداد– الخطيب البغدادي، ت بشار (١٣ / ٢٦٠) دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط١، ٢٠٠٢ م

(٢) للتعرف على أمثلة من هذه الوسائل، راجع: الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي، ص٥٢٥- ٥٢٦، مكتبة وهبة، ط٤، ١٩٦٩. وبين الإسلام والغرب– ضراوة أحقاد ومرارة حصاد، على محمد عبد الوهاب، ص٢٠٥- ٢٠٨.

المبحث الرابع

وسائل مساعدة في نقد الخطاب الاستشراقي

١- العمل المؤسسي: (المؤسسات العريقة)

يجب أن يقوم على هذا العمل مؤسسات كبيرة، لأن هذه الأعمال لابد أن تكون في شكل مشاريع بحثية كبيرة، وهي تحتاج إلى مجموعة أو سلاسل من الباحثين من ذوى التخصص والوعي بدينهم وثقافتهم وحضارتهم وتاريخهم، ليقوموا بعد ذلك بدراسة هذا الموروث الاستشراقي، لذا يجب أن تكون هذه المؤسسات قوية وعريقة وذات توجه علمي حقيقي، ولها ميزانياتها التي تسمح بالتمويل والرعاية والدعم.

فلولا أنه قام على الاستشراق مؤسسات ودول ما كان له أن يكون بهذا الشكل، حتى حين ظهر –في بداياته– في شكل فردي كان خلفه كنائس تدعمه وترعاه، ولما صار مؤسسيا صارت المؤسسات الغربية دينية وسياسية واقتصادية تدعمه وتسانده، لولا هذا ما تقدم خطوة حقيقة في هذا الطريق، لذا من الخطأ الظن أن الأعمال الفردية في عملية نقد الخطاب الاستشراقي المترامي الأطراف ستؤتي أكلها وتتمكن من مواجهة هذه الجيوش الجرارة من جحافل المستشرقين، فالعمل المؤسسي يكون في مقابله عمل مؤسسي.

٢- الاتساع والشمول والتعدد والتنوع

يجب أن تكون هذه المؤسسات متعددة ومتنوعة في كل بلد مسلم، وبلغة هذه البلد المسلم حتى يستفيد أهل تلك البلاد بهذه الدراسات وهذه الأبحاث، لأن النقد سينبع من واقع تجربة كل بلد وما جرى بها وما انتشر فيها من هذه الأعمال الاستشراقية، فمن القصور –كمثال– مناقشة الاستشراق من منظور الواقع المصري بعلماء أهل مصر فقط، فيكون هو النقد الوحيد المتاح

للماليزي والإندونسي والصيني والأمريكي وغيرهم، فقد كانت أعمال المستشرقين تنبع من واقع انتماءتهم الشخصية وبلدانهم ومن واقع مناطق نفوذ بلدانهم والبلاد المستعمرة التي يعملون في خدمتها، ومن ثم؛ حتى يكون النقد شاملا وقويا يجب أن يكون بنفس هذا الاتساع الذي قام به الاستشراق.

ورغم ما يكون بين أعمال الاستشراق من تشابه في كثير من البلدان، لكن ذلك لم يجعل الاستشراق الفرنسي مطابقا للاستشراق الإنجليزي، ولا جعل الاستشراق الإيطالي مطابقا للاستشراق الألماني، وصار اليوم ما يُعرف بمدارس الاستشراق، الهولندية والأمريكية والإنجليزية والفرنسية وغيرها... لذا فالنقد والمواجهة يجب أن يكون بهذا الاتساع، فلا مانع من ظهور المدرسة المصرية والمدرسة المغربية والمدرسة السورية والمدرسة الصينية والباكستانية وغيرها في نقد هذا الاستشراق وكشفه وبيانه.

٣- تبنى الدول لمشروع النقد

الدعم السياسي والإرادة السياسية لابد أن تكون داعمة لهذا التوجه، وراغبة في الاستفادة منه على مستوى اتخاذ القرار، بحيث لا تتوقف تلك الدراسات ولا يعوقها عائق، فالمبادرات الفكرية التي تشملها الرعاية السياسية في الغالب تثمر وتنجح ولو جزئيا، وهذا لا يترك مجالا لمن يحاول إيقاف هذه الأعمال البحثية وتعويقها لمصلحة جهات تموله أو تدعمه أو ترعاه، أو بسبب توجه شخصي يسيطر عليه بسبب ما تربى عليه ونشأ.

المهم في هذا الإطار هو توفير الدعم والمؤسسات والوسائل التي تسمح لهذا الفكر النقدي لموروث الاستشراق أن يرى النور عبر المطبوعات والإعلام بأشكاله المختلفة، وكذا تدعيمه ليصل إلى قاعات التدريس في الجامعات والمؤسسات التي ترعاها الدولة وتنفق عليها.

ولتعلم الدول أن هذا العمل النقدي للفكر الغربي عن الإسـلام يصـب في نفع وبناء تلك الدول، ولولا أن الغرب أدرك مدى أهمية هذه الأعمال بالنسبة له لما سـاندها منذ مئات السـنين، وأنفق عليها، وجيش لها الآلاف من الباحثين، ينقبون في كل شـيء يخرجون منه بمعلومة أو فائدة طبيعية أو تاريخية أو دينية، فقوة الدول لا تتوقف على قوة السـاعد فقط، بل قوة السـاعد نفسـها لا تتأتى بدون الفكر الواسع الممتد الناقد المحلل.

٤- العمل الموسوعي (الموسوعات)

الموسـوعات النقدية سـتوفر موردا حقيقيا وموثوقا به في إطار نقد هذا العمل الاستشراقي، فعلى الرغم من أهمية إصدار المقالات والمؤلفات الشخصية، لكن جمع هذه الأعمال في موسـوعات تكون مرجعا للباحثين وموردا حقيقيا لهم، من شأنه أن يجعل لهذه الأعمال الأثر الأكبر النافع.

٥- المؤتمرات

كانت المؤتمرات ولا زالت وسـيلة مهمة من وسـائل الاسـتشـراق في مسـيرته الطويلة، وقد تعددت وتنوعت هذه المؤتمرات، وكانت بمثابة العرض العام لهذه الأعمال العالمية التي يقومون بها في شـتى أنحاء العالم، ومن ثم يجب أن تكون المؤتمرات من وسـائل النقد، فالأبحاث النقدية المهمة التي تعرض في تلك المؤتمرات تكون بمثابة زبدة الأعمال الفكرية في العالم الإسـلامي كله، وتجعل النظرة شـاملة وعامة، وتعطى للقارئ المسـلم صـورة واقعية تأتى من أطراف العالم الإسلامي، كما تربط بين علماء ودعاة المسلمين وتساعد في نقل الخبرات والمؤلفات، والتعرف على النماذج الفريدة من النابهين من أهل القلم والقرطاس.

ويحسن أن تكون هذه المؤتمرات دورية، وتعقد في أمكان متنوعة وبلدان شتى من العالم الإسلامي.

٦- الدعم المالي

الدعم المالي هو المحرك الأكبر لكل هذه الجهود، والمؤثر في جودتها واتقانها، وهذا ما أدركه العالم الغربي فجعل من التمويل عنصـرا أسـاسـيا في كل عمل يقدمون عليه، ولذا في الغالب تنجح هذه المشـــاريع نظرا لأن الجانب المالي متوفر، فإذا ما أضـيف إليه الإرادة السـياسـية، والعمل المؤسـسـي فكيف لهذا العمل أن يفشل؟

٧- التخطيط

لعل التخطيط هو من أكثر الوســـائل غيابا في العمل الدعوي أو الديني أو العلمي في بلاد الإسلام، رغم أن التخطيط والإعداد من أهم سمات رسول الله – صـلى الله عليه وسـلم– وصـحابته الكرام، وهو عنصـر أسـاسـي في العمل الغربي في أي نشـاط، وهو يقوم على علوم حقيقية، ودراسـات قوية، يقوم على إحصـاءات ودراسـات ومعلومات، وقد كان الاسـتشـراق من هذه الأعمال التي خطط لها بعناية، وعملية النقد والمواجهة يجب أن تكون بهذه الطريقة.

٨- الاستمرارية

رأينا في العمل الاستشراقي الموسوعات التي تم إنجازها في سنوات كثيرة عبر فرق عمل متعددة، فلربما مات من بدأ بالفكرة واسـتمر العمل لسـنوات حتى تم الإنجاز، ولذا فمن العجز أن يكون العمل مرتبطا بشـــخص أو مدير أو فرد، فإذا ما ذهب أو مات أو تحول توقف العمل ومات، لابد أن يكون عملا لا علاقة له بالأفراد، فهي مهمة يجب أن تنجز بغض النظر عن الأشخاص.

المبحث الخامس

أثر نقد الخطاب الاستشراقي حول الإسلام

أولا: أثر نقد الخطاب الاستشراقي على العالم الإسلامي

١- الوضوح

من أكثر ما يؤذى البشرية في طريقها هو الضبابية وعدم الوضوح، والخفاء وعدم الشفافية، هنا يرتع الإنسان في الضلال ويظل يلهث يبحث عن طريق النور فلا يراه، وأكثر شيء تحرص عليه الدول الغربية هو بقاء تلك الضبابية والظلمة تغطى كافة مناحي الحياة في الدول الإسلامية، ضبابية لا تعرف معها تشخيص المرض والداء، وضبابية فلا تعرف معها العلاج أو الدواء، فإذا ما برز مفكر أو فكرة من شأنها أن تكشف هذا الضباب وترفع هذه الغشاوة سعت كل أجهزة الغرب ووسائلة لردها أو منعها أو تحجيم أثرها [١] ، وقد كان الاستشراق واحدا من تلك الوسائل ، بل أعظمها في نشر هذه الضبابية والظلامية والتشخيص الكاذب، والحلول الكاذبة.

ومهمة النقد هو جعل الأمور واضحة مكشوفة مرئية، يسلط النقد أشعته الكاشفة لجوانب الظلمة الفكرية في الميراث الاستشراقي فيجعل ذلك القارئ يرى ببصر ويقرر ببصيرة.

٢- التقييم الصحيح لنتاج المستشرقين

فالنقد من شأنه أن يقوم بوضع هذه الأعمال في قيمتها الحقيقية من الناحية العلمية والفكرية والمنهج العلمي، وتلك مهمة صعبة وخطيرة وضرورية لتتم عملية النقد بشكل فعال وسليم، بحيث نصل في النهاية إلى تصنيف نتاج

(١) راجع: الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، مالك بن نبي، ص١٢- ٣٨.

المستشرقين وفرزه، ليصير لدى القارئ المسلم قائمة؛ فهذا جيد، وهذا ضعيف، وهذا قوي، وهذا فاسد، وهذا عدائي... وهكذا.

٣-وقاية وحماية المسلمين من الزيف والأكاذيب.

بعد الوضوح، والتقييم الصحيح لميراث المستشرقين، وبيان الصالح من الفاسد، والصـحيح من السـقيم، يكون من السـهل عليهم تجنب الفاسـد السـقيم، فتحدث وقاية لمجتمع المســلمين وحماية لعقيدتهم، وعبادتهم، وأخلاقهم، وشــريعتهم، وتـاريخهم، وحضـــارتهم. وهذه خطوة أولى في طريق البناء، وهي خطوة دفع الضــرر، أو التخلية، وهي محو رواسـب الفكر الاســتشـراقي من نفوس أبناء المسلمين بحيث يكون المسلم مؤهلا بعد ذلك للبناء والتحلية.

٤-بناء صورة إسلامية حقيقية واستعادة الهوية.

وتلك الخطوة المهمة وهي البناء على أساس سليم متين قوي يجعل المسلم دوما على بينة من أمره فكريا وتاريخيا وحضـــاريا وثقافيا، على بينة من أمره في عقيدته وعبادته وأخلاقه، على بينة من أمر قادته وعلمائه وزعمائه على مدار التاريخ وتلك نعمة لها ما بعدها من استعادة الهوية

٥-الاستقرار النفسي والمجتمعي والسلام الاجتماعي

وهذا ينشأ من عدم التضاد والتنافر بين أبناء المجتمع، بل يوحد الجهات العامة والرؤية المســتقبلية، ويوحد الإرادات ضــد أي عدو خارجي، ســواء أكان هذا العداء ماديا أم فكريا، فمن أهم ما يؤدي إلى عدم الاســـتقرار النفســـي وعدم الاستقرار المجتمعي هو التنافر الفكري، والتضاد في الآراء، والتنافر في النظر إلى الأمور، خاصـــة تلك الأمور الكبيرة المتعلقة بالعقائد والعبادات والأخلاق والتاريخ والحضارة.

فكل أمة تســعى إلى توحيد التوجهات داخل مجتمعها تحت إطار مبادئ عامة في الثقافة والفكر والعقائد والأخلاق، حتى لو كان التوجه العام هو نبذ هذه العقائد والأخلاق، إلا أن الدول تســـعى لتوحيد الآراء في هذا الإطار، ســـواء بعلمنة الدول أو تدينها، وكلما كان هناك انسجام في الأفكار كانت هذه الدول مســتقرة ومســتمتعة بســلام اجتماعي عن غيرها من تلك الدول التي تتبنى كل طائفة منها اتجاها خاصــــا بها، معتقدة فيه، مؤمنة به، دون أن توجد تلك المبادئ العامة التي تحكمها هي والطوائف الأخرى، وتجمعها تحت مظلة واحدة، فيؤدى ذلك إلى ضـياع السـلام الاجتماعي والنفسـي، وهذا باب ضـخم لهلاك الأمم والشعوب قد أتقن المستشرقون وضع بذوره وجني حصاده.

٦- قوة الدولة

فالقضاء على ما يشوه الحياة الفكرية والثقافية والعقدية والأخلاقية لأبناء الأمة، يؤدي في النهاية إلى دولة قوية وأمة قوية، لأن هذه الدولة وهذه الأمة ستشعر بذاتيتها وتفردها وقوتها، فحينها تتجه إلى تعزيز هذه القوة، بالاســـتغناء عن الناس في كل المجالات؛ فكما استغنت بعقيدتها وأخلاقها وشريعتها وآدابها عن الآخرين ســتســعى إلى الاســتغناء عن الآخرين ماديا وعلميا وتقنيا، وهذا هو الملاحظ في البلاد التي تعتز بلغتها وثقافتها وعقيدتها وتاريخها، وتجعل من ذلك مكونا لفكر أبنائها وبناتها، يتحول ذلك إلى رغبة في التفرد والتقدم والتطور، فتعمل العقول وتكتشـــف وتنتج وتنافس الآخرين جاء في الحديث: «عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحْبِبْ مَنْ أَحْبَبْتَ فَإِنَّكَ

مَفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ» ثُمَّ قَالَ: «يَا مُحَمَّدُ شَرَفُ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ»(١)

الاستغناء هذا لا يتأتى إلا بذاتية فكرية سليمة وصحيحة، لكن الأمة التي غزيت بالفكر الذي يضعف كيانها ويشوه عقيدتها وتاريخها كل ذلك يخلق أفرادا ضعفاء مبتوتي الصلة بمصادر عزتهم وقوتهم، أجسامهم بيننا وعقولهم شاردة في بلاد بعيدة تراها قدوتها وسبيلها، وينشأ داخل تلك البلاد كيانات عاجزة، بل كيانات تعادي وتخاصم كل من ينادي بضرورة استرجاع الهوية، وكشف زيف تلك الدعوات التي تجرد الأمة من مقوماتها وأسباب فلاحها وعظمتها.

ثانيا أثر نقد الخطاب الاستشراقي على العالم الغربي

١- اتساع دائرة النقد والمراجعات الداخلية في الغرب

لعل من أهم ما يجعل الأعمال الاستشراقية عن العالم الإسلامي تلقى رواجا في الغرب هو بسبب قلة الدراسات النقدية الحقيقية لهذه الأعمال الاستشراقية، ومن ثم تظل دراسات المستشرقين هي المرجع المعتمد المفضل المبرز لديهم، يعودون إليها ويغترفون منها وينشرون ما بداخلها من الغث والثمين، والضار والنافع والصحيح والسقيم.

لكن إذا برز وظهر وانتشر نقد هذه الدراسات في بلاد العالم الغربي بلغتهم التي يتحدثون بها حينئذ سيظهر جيل جديد يرى الحق حقا فيتبعه ويتبناه (هذا إن صلحت النوايا في البحث العلمي)

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم (٤ / ٣٦٠) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ،، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٩٩٠، تعليق الذهبي: صحيح

في لقاء نادر مع المفكر "إداورد سعيد" صاحب كتاب "الاستشرق" الشهير، حول دراساته وأبحاثه ومدى تقبل الغرب لها، فقال: «الذي لاحظته أن الغرب خاصة الشباب منهم متعطشون لأى مادة علمية قيمة يستطيعون الاطلاع عليها بلغتهم عن العالم الإسلامي، والعربي، والشرقي، فلديهم رصيد فكرى يدفعهم للخوف من الإسلام والمسلمين والعرب، وهم في حاجة لمعرفة المزيد عن هذا الذي يخافونه أو يجهلونه، فإذا وقعوا على دراسة قيمة قدروها واحترموها وأثرت فيهم، خاصة إذا كانت هذه الدراسة لمسلم أو عربي يتحدث بعقلانية ومنطقية وأدلة ومناقشة وتحليل، دون انفعال أو تعصب» [(١)] إذا حدث ذلك ستتغير وجهات النظر رويدا رويدا في العالم الغربي الفرنسي والألماني والإنجليزي والأمريكي ...إلخ، كما فسدت هذه النظرة رويدا رويدا عبر السنين، ستتحسن رويدا رويدا عبر السنين، ومن ثم تظهر الدراسات النقدية من الغربين أنفسهم للغربين ويقومون هم بدور النقد لهذا التراث الاستشراقي الضخم.

ولا يخفي أنه كان من بين أهداف عملية الاستشراق هو توجيه العقل الغربي في نظرته للإسلام والمسلمين، بحيث يمثل هذا العمل حائطا سميكا ضد فهم الإسلام أو استحسانه ناهيك عن قبوله واعتناقه.

وخطوة النقد الذي يصل نتاجه إلى دوائر العلم والبحث في العالم الغربي –وهذا ليس بالأمر الصعب في زماننا– ستهدم هذا الجدار السميك الغليظ أو على الأقل ستفتح فيه نوافذ وأبوابا يلج منها من يريد التعرف على الإسلام، وكلما كثرت هذه النوافذ والأبواب مع كثرة النقد كلما أدى ذلك إلى إزاحة هذه الحجب الكثيفة التي تحول دون العالم الغربي والإسلام.

---

(١) من أرشيف الإذاعة البريطانية BBC سنة ١٩٨٧، في حوار مع الإعلامي "على أسعد" تم نشره على موقع إذاعة تابو عرب، على يوتيوب، بتاريخ ٢٠١٨، تم الاستماع إليه بتاريخ١٥/ ٣/ ٢٠٢٠م

٢- فتح الأرض لفهم ومحبة واعتناق الإسلام

فهم الإسلام بشكل واضح وسليم بدون شوائب العرض الاستشراقي المُمْتَلِئ بالأغراض النفسية والشخصية والاستعمارية والدينية من شأنه فتح العالم ليستمتع بجمال الإسلام ورحمته وحضارته وأخلاقه وشريعته الراقية، وهذا ما يسبب مرضاة الله تعالى على الأمة كلها إذ قامت بدورها في عرض هذا النور على العالمين، وقامت بدورها في انقاذ البشرية من الظلمات وانتشالتها من الهاوية وقادتها إلى ربها، وقامت كذلك بدورها في حمل رسالة المصطفى - صلى الله عليه وسلم- إلى أركان الأرض ونورت به طرقه للسالكين.

٣- نشر السلام في العالم

يتأتى ذلك بمعرفة الحق وتبنيه من جملة كبيرة من أبناء العالم، فمعرفة الحق حتى بدون اعتناقه من شأنه أن يدعم استقرار العالم واحتكامه إلى مبادئ راسخة تقوم عليها دعائم الحياة الإنسانية، فيشعر الناس بالعدل الحقيقي، والمسواة الحقيقية، والرحمة الحقيقة، فتزداد رقعة السلام في الأرض، ولن يكون السلام حينئذ حكرا على أمة دون أمة، أو دولة دون دولة، أو طائفة دون أخرى، لأن المقاييس التي يعتمد عليها مقاييس ربانية وعدل رباني ورحمة ربانية لا تميل لأحد دون أحد ولا لجنس دون جنس، فهي قوانين عامة جاءت للبشر كلهم، ووضعت لسعادتهم أجمعين طالما جعلوها مرجعا لهم وميزانا لأعمالهم.

وقد جرب العالم قوانين البشر التي وصفت بحقوق الإنسان، وجربوا المؤسسات التي قامت عليها، فما نعم العالم بسلام ولا استقرار وبات الخير تحصده بعض الدول التي لديها القوة والمكانة ولكن أغلب الدول الفقيرة لا تنعم بالخير ولا بالصحة ولا بالسلام ولا حتى بالمال ولا بالاستقرار، وذلك نظرا لأن موازين البشر غير موازين رب البشر، وفرصة أن يقبل الناس هذا الميزان الرباني لن

يأتي أبدا إلا إذا أزيل هذا الركام الذي تزايد مع السنوات بفضل المؤلفات الاستشراقية وما تولد منها فتسبب في إخفاء هذا الخير عن العالم وبات العالم يتخبط خبط عشواء ويذهب شذر مذر، وما زال مستمرا في هذه المسيرة المظلمة، بسبب ما ساد العالم من أفكار لا تعتمد على دين صحيح، أوحى لم يصبه التبديل والتحريف، أو حق لم يتلون مع الزمن، وهذه فرصتنا، والبداية بنقد هذا الموروث الذي شكل عقول العالم، وأثر فيه وسيطر عليه وأمسى يوجهه ويقوده.

المبحث السادس

نموذج لنقد الخطاب الاستشراقي حول الإسلام

أكاذيب المستشرقين وتزييفهم وتحريفهم هي موارد الإنسان الغربي في دراسته للإســــلام، والكذب يتبعه كذب، والزيف يتبعه زيف، والتحريف يتبعه تحريف، حتى أوشـــك أن يطمس أي مظهر من مظاهر الحقيقة حول الإســـلام في الغرب.

وظهرت دراسات لمسلمين تنقد وتنفض هذه الترهات، بعض هذه الدراسات كانت تعي القضـــية كاملة وتحيط بأطرافها بقوة، فكان النقد شـــاملا وجامعا، وبعض هذه الدراســـات كانت جزئية أو نقدها ينم عن قراءة جزئية للصـــورة الكبيرة، تعرف شيئا ويغيب عنها الكثير، والبعض الآخر كانت دراسات ضررها أكثر من نفعها، فصاحبها يثنى الثناء الجميل على المستشرقين والاستشراق، وإن ظهرت أخطاء المســـتشـــرقين جلية كالشـــمس أخذ يلوم في خجل وعلى استحياء، ويلتمس الأعذار، ويبرر لهم كل مخالفة للحق والعقل والعلم والدين، وهناك نوع آخر من الكتاب، وهؤلاء هم المستغربون، هم لسان الاستشراق الناطق، وكلامهم المكتوب، فلا فرق بينهم وبين المستشرقين.

إذا؛ فالمؤلفات التي تناولت الاستشراق بالنقد على ثلاثة أنحاء:

١- النموذج الضعيف الذي ضرره أكثر من نفعه

٢- نموذج وســـط يحاول الفهم والاســـتيعاب وكان قويا في الرد والمدافعة لكنه في الوقت نفسه روج للاستشراق دون أن يدري

٣- النموذج الثالث الذي وعى القضـــية بأبعادها ومراميها فكان المثال المحتذى في النقد والبيان والكشـــف والتوضـــيح، وعرف أن قليل الحق يطمسه كثير الباطل، ولولا كثرة مضار الخمر لشربها الناس لأن

بها منافع يمكن عدها وبيانها والحديث عنها، لكن العقل يمنع عن الأمة أن تنخرط في أمر شـــره أكثر من نفعه، حتى لو جاز لأفراد وأحاد الباحثين أن يتناول هذا النتاج ويستعرضه ليرى الخير فيه أو الشر، ففعل ذلك لعامة الناس كارثة كبرى ومضرة عظيمة.

والنموذج الذي تم اختياره هو من النوع الثالث، وهو كتاب

صور استشراقية

د. عبد الجليل عبده شلبي [(١)]

أسباب اختيار هذا الكتاب:

أولا: لأن مؤلف الكتاب عالم أزهري، وهذا يجلى دور الأزهر في نقد الخطاب الاستشراقي حول الإسلام.

ثانيا: أنه شغل منصبا مهما في مؤسسة دعوية مرموقة، حيث كان أمينا عاما لمجمع البحوث الإسـلامية، وهذا يعكس دور هذه المؤسـسـات في التصـدي للحفاظ على بيضة الإسلام.

ثالثا: أنه كاتب مرموق، خصـص جل وقته لدراسـة التبشـير والاسـتشـراق والتغريب، وكان مهتما بقضايا الأمة ملما بها [(٢)]

رابعا: أن إماما من أئمة الأزهر الشريف قدم لهذا الكتاب، وليس أي إمام، إنه إمام يصـــح أن نقول عنه ذو باع وتخصـــص في هذا المجال بحكم حياته الدراسية وموقعه في مشيخة الجامع الأزهر.

١- النقطة الأولى: مقدمة هامة لفضيلة الإمام

قدم للكتاب فضيلة الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، شيخ الأزهر الشريف

(١) الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، طبعة مجمع البحوث الإسلامية، ١٩٧٨م

(٢) من كتبه: مفتريات المستشرقين على الإسلام، وعظماء قادة الأديان، والإسلام والمستشرقون، ومعركة التبشير والإسلام –حركات التبشير والإسلام في أسيا وأوروبا وافريقيا، والإرساليات التبشيرية، وصور استشراقية.

وقد كانت مقدمته مركزة حول منهج المستشرقين الفاسد في دراسة قضايا الإسلام وذلك بسبب تبنيهم وجهات نظر مسبقة يسعون فقط لإثباتها ومخالفة ما سواها بشتى الطرق، ويقرر على لسان أحد المستشرقين «أن البحوث التاريخية مقضي عليها بالعقم إذا سخرت لأية نظرية أو رأى سابق" فهذه حقيقية يجمل بمستشرقي العصر جميعا أن يضعوها نصب أعينهم، فإنها تشفيهم من داء الأحكام السابقة، التي تكلفهم من الجهود ما يجاوز حد الطاقة فيصلون إلى نتائج لا شك خاطئة»[١].

ثم ينتقل "الإمام" إلى قضية في غاية الخطورة، وهي في الحقيقة دقيقة وفنية إلى أبعد حد، ذلك أن الإمام نوه بجهد المستشرقين في التحقيق، وتمنى لو اقتصر عمل الاستشراق «على مباحث التحقيق و العلم النقي الصافي وهو في هذه الدائرة، دائرة التحقيق العلمي، قد أنجز عملا مجيدا، ونحن على رأس المقرين بحسنه ونفعه، ولكن لم يبق له فيما يتعلق بشأن الإسلام إلا أن يخلي المجال»[٢] لكن الاستشراق للأسف أدرك خطورة أن يتلقى العالم الغربي هذا العلم الصافي الخالص بعد تحقيقه وترجمته وفهرسته، خاف أن يؤثر فيه فتتحول نفوس الغربيين نحو الإسلام حبا واحتراما واتباعا، فأخذ على عاتقه تغيير هذه الحقائق وتشويهها «بأشد أساليب التاريخ الحديث عقما، جادا في طلب أغرب الآراء وأبعدها عن المعقول»[٣] ثم أخذ يعرض جانبا رائعا مما كتبه "ناصر الدين" حول الإسلام، يرد به على المستشرقين.

أهمية هذه التقدمة:

---

(١) صور استشراقية، عبد الجليل شلبي، ص٦

(٢) المرجع السابق، ص٧

(٣) المرجع السابق، ص٧

هذه تقدمة في غاية الأهمية لإمام من أهم أئمة الأزهر الشـريف، وحديثه ليس حديث الناظر من بعيد المطلع على بعض ما وصـل إليه من ترجمات الكتب، فهو الذي سـافر واختلط بالمسـتشـرقين وعايشـهم، وقرأ ما كتبوه بلغتهم، وترجم الكتب وحلل وناقش، إلى جانب مكانته العلمية بين علماء المسلمين ودعاته.

حين يقرر فساد منهجية المستشرقين ويعمم في هذا الحكم رغم أنه يدرك تمام الإدراك أن بين المستشرقين من قال كلمة الحق وأعلنها، وقد أشار إلى ذلك في مواضـع من مؤلفاته، لكنه من موقعه يدرك خطورة الاسـتشـراق في النهاية، فالنهاية كانت تشـويه وتحريف وتكذيب، ومن ثم فقد جاء شـره على خيره، ولا يحسـن أن نقف موقف المادح في حين أن الضـرر أكثر من النفع، والشـر قد طغى على الخير.

ويختم مقدمته بهذه الجملة: «هذا ونرجو للشباب المسلم أن يعي هذه النصـائح ليضـع المستشرقين في مكانهم الطبيعي»[١]

٢- النقطة الثانية: منهجية المؤلف وموقفه من الاستشراق:

ظهرت هذه المنهجية وهذا الموقف في الأسـطر الأولى من مقدمة كتابه، فهي بحق تعكس وعيا شـموليا ودراية وقراءة للواقع ومعرفة بما يصـلح الأمة وما يفسدها، وفهم لمشروع الاستشراق كله، يقول:

«لقد كنت منذ زمن بعيد مقتنعا تمام الاقتناع، بأن كتب المستشرقين مما يجب الإغضاء عنه، وعدم الالتفات إليه، وأنه من الأفضل بل من الواجب ألا ننقلها إلى العربية، وألا نرد على شيء مما تسيء به إلى الإسلام» [٢] .

---

(١) المرجع السابق، ص١٥

(٢) المرجع السابق، ص١٧

فهو يرى في قرارة نفسه أن الأمة لن تستفيد من أعمال المستشرقين، ولو فرضنا جدلا أنه لا يوجد ما يسمى استشراقا، ولا وجود لمؤلفات تنسب إليهم، فهل ينقص ذلك من الفكر الإسلامي شيء؟ في الحقيقة لا ينقص مثقال ذرة، وعلى العكس بوجود مؤلفات الاستشراق الضخمة هل زاد ذلك في الفكر الإسلامي حسنا وجمالا ودقة ووعيا؟ في الحقيقة لم يقدم شيئا إيجابيا يرفع من شأن الفكر الإسلامي، بل على العكس، كان معول هدم، وأداة تخريب، اللهم إلا القليل جدا مما لا يقاس عليه.

ورغم أن الكاتب تراجع عن موقفه في تناول وعرض كتب المستشرقين، لكنه حين تراجع أكد ما سبق أن قرره في أن هذه الكتب ضررها أكثر من نفعها، وهذا الضرر الذي انتشر بين أبناء المسلمين هو ما دفعه لتناول هذه الكتب وعرضها وتفنيد ما فيها، ورد الشبه التي تملأ جنباتها [١] .

ففي الأولى؛ منعه شرها وضررها من تناولها وعرضها حتى لا يكون سببا في نشر ما فيها بين أبناء الإسلام، وفي الثانية؛ دفعه شرها الذي انتشر وضررها الذي عم بعد ترجمتها وإتقان بعض المسلمين للغات أصحابها، دفعه ذلك إلى تناولها لرد ما فيها وبيان فساد آراء أصحابها وفساد مناهجهم.

فأخذ على عاتقه أن يقوم بدور الناقد لهذه الدراسات الكاشف لما فيها من تلبيس وتدليس.

يقول: «إذن فقد عمت الترجمات، وشاع بين شبابنا ما كنا نحذر أن يشيع، وإزاء هذا لا ينبغي أن ندفن رؤوسنا في الرمال حتى لا يرانا الصائد، بل إن

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص١٧، ١٨

الواجب المقدس يحتم علينا –ونحن أعلم بحقائق ديننا– أن ندفع شبهات هؤلاء القوم، وأن نبين وجه انحرافهم وسبب هجومهم على الإسلام»[١].

٣- النقطة الثالثة: طريقته في النقد

يقول المؤلف: «هذا عرض لبعض الآراء الاستشراقية، ودحض لما فيها من مفتريات على الإسلام ونبيه... وفي هذا الكتاب ألممت بأهم الشبهات التي يعتمد عليها هؤلاء وتشيع بينهم... ولم أتعرض هنا لكثرة كاثرة من المستشرقين... ولم أطل الوقوف لدى بعض المستشرقين الذين جاءت آراؤهم عرضا»[٢] ثم حدد مواضع اهتمامه فقال: «عرضت لآراء "اميل دورمنجم– في كتابه " حياة محمد" و"محمد"» وأهمها رميه محمد – صلى الله عليه وسلم– بالصرع... واتهامه محمدا – صلى الله عليه وسلم– بأنه استقى معلوماته من اليهود والنصارى ومن غيرهم... والكتابان اللذان أطلت الوقوف لديهما– هما– " صلة القرآن باليهودية والمسيحية" وكتاب "العقل المسلم"... وأود بهذا أن أكون قد وفقت في الدفاع عن الإسلام وأنني أكون قد أنرت الطريق أمام الناشئين ليردوا به هجوم الآخرين»[٣].

هكذا يظهر الكاتب أنه سيهتم فقط ببعض الشبهات القوية التي تتردد كثيرا على ألسنة المستشرقين أو يعتنقها أغلب المستشرقين وينطلقون من خلالها، ولن يقف عند كل المستشرقين بل سيعرض لبعضهم فقط، وأظهر أن أغلبهم يردد نفس الشبهات، وإن كان يعرضها بشكل مختلف أو بأدلة مخترعة جديدة من عند نفسه ومن خياله.

---

(١) المرجع السابق، ص٢٠

(٢) المرجع السابق، ص١٧، ٢١، ٢٢

(٣) المرجع السابق، ص٢٢، ٢٣

لكن الملاحظة المهمة هنا أن من جملة الكتب التي قرر أن يعرضـــها كتاب "حياة محمد" الذي ترجمه الدكتور "هيكل" ويعد صـــاحبه في نظره من المنصـــفين، لكن الكاتب النابه يدرك خطورة هذا التوجه بوصـــف فلان من المستشرقين أنه منصف أو محايد، وغير ذلك من الأوصاف الخادعة، فيكفي أن يورد المستشرق شبهة واحدة في كتابه تأتي على كل ما جاء به مما يوافق الحقيقة، وتهدم كل ما سـبق من بيانه، كتلك الشـبهة التي تبناها الكتاب حول اتهام النبي – صلى الله عليه وسلم– بالصرع، أو نقله الدين عمن سبقه من اليهود والنصارى.

الملاحظة الثانية: أنه قرر التعرض لكتاب" العقل المســلم" رغم أن صـــاحبته المستشرقة الإنجليزية "تساريس وادي" كانت تعتمد في جل أقوالها على ما قاله المسلمون، وهي في الحقيقة تدافع بقوة عن وجهة نظر المسلمين في قضاياهم، وتخالف المســتشـرقين، ولعل ذلك يرجع لأنها عاشــت فترة في بيت المقدس، وزارت كثيرا من البلاد الإسـلامية، وزارت مشـيخة الأزهر، وتقابلت مع الإمام الأكبر الشـــيخ عبد الحليم محمود، وتفهم اللغة العربية، وقد عرض المؤلف كلامها ليظهر عوار المستشرقين المجحفين على لسان صاحبة لهم، فمن فمك أدينك.

وعرضــه لهذا المؤلف رغم موقفه الناقض للاســتشـراق والناقم عليه بسـبب أثره المغيب للوعي المضيع للحقيقة، هو بذلك يرسل رسالة مفادها: أن نقد ونقض الاســتشــراق لا يعني إغفال من فلت من تحت نير وســيف الجهات الممولة والحاكمة في الغرب، واتبع ضميره وكتب كلاما حسنا، لكن لابد من وضع كل عمل في حيزه وقدره ونسـبته، فالقائد الناصــح لأمته لابد أن يكون على وعي بما يحوطها من مخاطر، ثم يتحرك بناء على ذلك بميزان دقيق حساس.

وصـلاة وسـلاما على خير خلق الله وخاتم أنبيائه ورسـله، نبي الرحمة، سـيدنا محمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم–

خاتمة

النتائج:

١- أثر الخطاب الاستشراقي على الحياة الفكرية للمسلمين، وكذا الحياة العملية والسلوكية والحضارية يحتم علينا نقد الاستشراق حتى لو وصل النقد إلى النقض في سبيل الحفاظ على الأمة وأبنائها.

٢- جُل مؤلفات المسلمين -وأحيانا غير المسلمين- عن الاستشراق هي بمثابة عملية نقد للاستشراق، حتى ولو لم يفصح المؤلف في عنوان كتابه بكلمة "النقد".

٣- تنقسم المؤلفات الناقدة للخطاب الاستشراقي إلى ثلاث: ضعيفة ضررها أكثر من نفعها، وهي تخدم الاستشراق أكثر مما تخدم الأمة، ومتوسطة مدحت وقدحت لكنها روجت للاستشراق، وثالثة قدحت ومدحت ولم تروج للاستشراق بل فضحته وأظهرت خطره.

٤- نسبة المستشرقين المنصفين مقابلة بالمجحفين تكاد لا ترى ولا تدرك، وكذا أثرها الإيجابي يكاد يختفي بجوار الأثر السلبي للفئة المتعصبة.

٥- لابد أن يكون النقد شاملا ومتخصصا، فلا يكتفي بنقد المكتوب بل لابد من تتبع كل منظومة الاستشراق.

٦- ليس صحيحا أن الاستشراق مات، فما زال حيا وبقوة في أذهان الغربيين، شعوبا، وسياسيين، ومفكرين.

٧- لقد وصل خبث الاستشراق أنه أصبح يوجه عقول الشرقيين إلى كيفية نقد الاستشراق، بحيث يبقى النقد بلا جدوى، ولا أثر، ولا فاعلية.

٨- السلام والأمن الاجتماعي الداخلي والعالمي مرتبط بالفكر العالمي والثقافة العالمية التي توجه السلوك البشري، وقد بقي الفكر الاستشراقي يحكم هذا السلوك لعقود طويلة وهو يزيف التاريخ

والحقائق والواقع، وآن لـه أن يُســتبدل بثقافة حقيقيـة لا تقوم على الأهواء والمصـــالح البشـــرية، والنزعات الفردية، آن للعالم أن يرى الإسلام على حقيقته، ولن يتأتى ذلك بدون نقد الاستشراق نقدا حقيقيا شاملا ومتخصصا.

التوصيات:

١- ضـرورة تبني الدول الإسـلامية لمشـروع النقد الكبير، فهو يصـب في مصـــلحة تلك الدول وفي رقيها، لأن ذلك مرتبط بالفكر، ولن يحدث ذلك إلا بفكر نقي ســليم، والســماح بتدريس هذا النقد في الجامعات والمدارس، لأنه نشر من قبل من خلال الجامعات المدارس.

٢- جمع كل ما ورد في نقد ونقض الاســتشــراق، وكذا جمع ما جاء في الثنـاء عليـه، ثم عمل موازنـة حقيقيـة تقوم على الحقائق والنســب والإحصـاءات، وإدراك المصـالح والمفاسـد التي لا تقوم على النظرات الشخصية، أو التقييم الشخصي.

٣- عمل إحصـائية حقيقية بالمسـتشـرقين المنصـفين، وذلك لن يكون إلا بعد معرفة إنتاج كل مسـتشـرق، للتأكد من هذا الإنصــاف، حتى لا نضر في الوقت الذي نسعى فيه للإصلاح.

٤- عمل موازنة بين المستشرقين والمسلمين في مجال التحقيق والفهرسة، والمعاجم، والموسوعات، لعمل تقييم حقيقي لهذه الأعمال، وقد سجلت ثلاث رســائل علمية في كلية الدعوة في هذا الموضـــوع، وهذه بداية جيدة.

٥- الاهتمام بالكتب التي تتحدث عن مناهج المستشرقين وأثرهم وخطرهم لتكون مصباحا لذوي النهى في التصدي للخطاب الاستشراقي المشوه للحقائق.

مراجع البحث

القرآن الكريم

كتب الحديث

١. المستدرك على الصحيحين للحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٩٩٠
٢. مسند أحمد ط الرسالة، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١ – ٢٠٠١ م

كتب اللغة والمعاجم

١. تاج العروس، للزبيدي، دار الهداية، بدون
٢. التعريفات للجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط١، ١٩٨٣م
٣. تهذيب اللغة للأزهري الهروي، ط١، دار إحياء التراث العربي – بيروت
٤. جمهرة اللغة، الحسن بن دريد الأزدي، دار العلم للملايين – بيروت، ط١، ١٩٨٧م
٥. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري الفارابي، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٩٨٧م
٦. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار ومكتبة الهلال، بدون
٧. لسان العرب، لابن منظور الأنصاري، دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ
٨. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، بدون

كتب متخصصة وعامة

١. أثر الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية" د محمد خليفة حسن أحمد، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط١، ١٩٩٧م.
٢. الاستشراق– المفاهيم الغربية للشرق، إدوارد سعيد، ترجمة د. محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م
٣. الاستشراق بين الجحود والإنصاف، د عبد الله سمك، وما بعدها، كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، ١٩٩٢م.

٤. الاستـشـراق في ميزان نقد الفكر الإسـلامي، د. أحمد عبد الرحيم السـايح، الدار المصرية اللبنانية، ط١، ١٩٩٦م

٥. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، الدكتور محمود حمدي زقزوق، دار المعارف، ط ١٩٩٧م:

٦. الاستعمار أحقاد وأطماع، محمد الغزالي، مؤسسة الخانجي بمصر، ١٩٥٧م

٧. الإســلام على مفترق الطرق، محمد أسـد، (ليوبولد فايس) ترجمة د. عمر فروخ، دار العلم للملايين، ١٩٨٤م.

٨. إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مالك بن نبي، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٦٩م.

٩. بين الإسـلام والغرب- ضـراوة أحقاد ومرارة حصـاد، على محمد عبد الوهاب، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٠م

١٠.تاريخ بغداد- الخطيب البغدادي، ت بشار دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط١، ٢٠٠٢م

١١.تأصـيل القيم والمفاهيم، أنور الجندي، سـلسـلة على طريق الأصـالة، طبعة دار البيان، ١٩٨٨م.

١٢.التبشـر والاسـتشـراق والدعوات الهدامة، (الجزء الخامس من موسـوعة: مقدمات العلوم والمناهج)، أنور الجندى- دار الأنصار، ط ١٩٨٣م

١٣.التبشـــير والاســـتعمار في البلاد العربية، د عمر فروخ، د مصـــطفى خالدي، منشورات الكتب العصرية، ١٩٨٦م

١٤.التنصـــير – خطة لغزو العالم الإســـلامى –الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التبشـــيرى الذى عقد فى مدينة جلين آيرى بولاية كولورادو فى الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٧٨م – دار MARC . بدون تاريخ.

١٥.حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، إشراف: أ.د. محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط٣، ٢٠٠٥م.

١٦.دائرة المعارف الإسـلامية الاستشـراقية أضـاليل وأباطيل، د. إبراهيم عوض، مكتبة البلد الأمين، ط١، ١٩٩٨م.

١٧.دفاعا عن القرآن ضــد منتقديه- د عبد الرحمن بدوي. ملحق لمجلة الأزهر شــهر رجب ١٤٣٦هـ

١٨.رســالة في الطريق إلى ثقافتنا، محمود محمد شــاكر، الهيئة المصــرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م.
١٩.سر تأخر العرب والمسلمين، محمد الغزالي، دار الريان للتراث، ١٩٨٧م
٢٠.شبهات وأباطيل خصوم الإسلام والرد عليها، محمد متولى الشعراوي، مكتبة التراث الإسلامي، ١٩٨٣م
٢١.شـمس الله تشـرق على الغرب، زيجريد هونكة، ترجمة د. فؤاد حسـنين على، دار العالم العربي، ط١، ٢٠٠٨م.
٢٢.الصـراع الفكري في البلاد المسـتعمرة، مالك بن نبى، مكتبة دار العروبة، ومطبعة دار الجهاد، ١٩٦٠م.
٢٣.صور استشراقية، عبد الجليل عبده شلبي، مجمع البحوث الإسلامية، ١٩٧٨م
٢٤.العقيدة والعلم– وحدة الدين الأوروبي وعلم الطبيعة، زيجريد هونكي، ترجمة محمد أبو حطب، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٧م
٢٥.الغزو الفكري والرد على افتراءات المستشـرقين، محمد علوه، الأقصـى للدراسـات والترجمة والنشر، ط١، ٢٠٠٢م،
٢٦.الفكر الإسـلامي وصـلته بالاسـتعمار الغربي، د. محمد البهي، مكتبة وهبة، ط٤، ١٩٦٩.
٢٧.قصة الحضارة، ول ديورانت، طبعة جامعة الدول العربية، ودار الجيل بيروت
٢٨.الكليات معجم في المصــطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الحنفي، مؤسـســة الرسالة – بيروت
٢٩.لا سكوت بعد اليوم– مواجهة الصور المزيفة عن الإسلام في أمريكا، بول فندلى، مكتبة العبيكان، ط٢، ٢٠٠١م
٣٠.الله ليس كذلك، زيجريد هونكه، دار الشروق، ط٢، ١٩٩٦م
٣١.ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، مكتبة الإيمان، المنصورة – مصر
٣٢.محاضـرات في مفهوم الاسـتشـراق والتبشـير، محمد زين العابدين الطشـو، كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة.
٣٣.محمد رسول الله، اتين دينيه– سليمان بن إبراهيم– ترجمة د. عبد الحليم محمود، دار المعارف، ط٣، ١٩٨٦

٣٤.المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام، محمد محمود الصواف، دار الاعتصام، ط٣، ١٩٧٩م.
٣٥.المستشرقون والتاريخ الإسلامي، د. على حسن الخربوطلي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، سلسلة دراسات في الإسلام، ١٩٧٠م.
٣٦.المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي، إبراهيم خليل أحمد، مكتبة الوعي العربي، ١٩٦٤م.
٣٧.مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم، علي بن إبراهيم الحمد النملة، بيسان، ط٢، ٢٠١١م.
٣٨.المنهج عند المستشرقين، د. عبد العظيم الديب، بدون
٣٩.نقد الخطاب الاستشراقي، د. ساسي سالم الحاج، دار المدار الإسلامى، ٢٠٠٢م
٤٠.هدم الإسلام بالمصطلحات المستوردة، أ.د زينب عبد العزيز، دار الكتاب العربي ط١، ٢٠٠٤م.
٤١.وفيات الأعيان–ابن خلكان، دار صادر، بيروت،
٤٢.(حلقة مسجلة) لقاء مع إدوارد سعيد، من أرشيف الإذاعة البريطانية BBC سنة ١٩٨٧، في حوار مع الإعلامي "على أسعد" تم نشره على موقع إذاعة تابو عرب، على يوتيوب، بتاريخ ٢٠١٨، تم الاستماع إليه بتاريخ١٥/ ٣/٢٠٢٠م

محتويات البحث

Contents

